٣ ر.س



مفاتح تدبر القرآن

والنجاح في الحياة



مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل

إعداد
د. خالد بن عبد الكريم اللاحم
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ح خالد بن عبدالكريم اللاحم ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اللاحم ،خالد بن عبدالكريم

مفاتح تدبُّر القرآن والنجاح في الحياة./ خالد بن عبدالكريم اللاحم.ـ الرياض، ١٤٢٦هـ.

٩٦ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٥ ـ ٢١ ـ ٠٤٦ ـ ٩٩٦٠

١ ـ القرآن ـ مباحث عامة ٢ ـ النجاح أ ـ العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٢٥/٢٨٧٨

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٢٨٧٨

ردمك: ٥ ـ ٢١ ـ ٠٤٦ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

يطلب الكتاب من الناشر على العنوان :

جوال ٠٥٠٥٢١٧٥٧٠ ومن خارج السعودية ٠٠٩٦٦٠٥٠٥٢١٧٥٧٠

فاكس ٠١ ٢٣١٢٦٥٢ ومن خارج السعودية ٠٠٩٦٦١٢٣١٢٦٥٢

بريد إلكتروني Lahim@Quranlife.com

مفاتح تدبر القرآن

والنجاح في الحياة



مفاتيح لتحقيق التدبر الأمثل

إعداد
د. خالد بن عبد الكريم اللاحم
أستاذ القرآن وعلومه المساعد
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية


بسم الله الرحمن الرحيم

سبب تأليف الكتاب

بعد إحدى المحاضرات سألني أحدهم :

كيف يكون النجاح بالقرآن؟

فقلت له: هذا سؤال كبير، وخاصة هذه الأيام التي فتن الناس فيها بهذا الفن مستندين في معظم طرحهم على كتب حضارات غير إسلامية، وصار المتسيِّدُ للحديث فيه لا يملكه إلا من حصل على شهادات أو دورات هناك، قلت له: هذا سؤال كبير وأخشى إن أجبت عنه إجابة سريعة أن أسيئ إلى القرآن، فلابد من البيان المتكامل الواضح الذي يربط المفاهيم والمصطلحات بالواقع، ويوضح أن الأصل في تحقيق النجاح هو القرآن الكريم كلام رب العالمين، وماعداه: فإما أن يكون تابعاً له، وإلا فهو مرفوض.

كان هذا السؤال هو سبب تأليف هذا الكتاب، الذي حاولت فيه أن أبين كيفية تحقيق القوة والنجاح بمفهومه الشامل المتكامل لكل طبقات المجتمع ولجميع جوانب حياتهم.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن الوسيلة الأولى لإصلاح النفس وتزكية القلب والوقاية من المشكلات وعلاجها هو العلم، ووسيلته الأولى القراءة والكتاب؛ لذلك نجد أن الله تعالى لما أراد هداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور أنزل إليهم كتابا يقرأ، وفي أول سورة نزلت منه بدأت بكلمة عظيمة هي مفتاح الإصلاح لكل الناس مهما اختلفت الأزمان وتباينت البلدان إنها: ﴿إقرأ﴾، وعليه فمن أراد النجاح وأراد الزكاة والصلاح فلا طريق له سوى الوحيين القرآن والسنَّة: قراءة وحفظاً وتعلماً.

إن الإحالة على كتاب يقرأ ويفهم ويطبق هي الطريقة العملية للتغيير والتطوير.

ولو تأملنا في حال سلفنا الصالح بدءاً من النبي ﷺ وانتهاءً بالمعاصرين من الصالحين لوجدنا أن القاسم المشترك بينهم هو القيام بالقرآن وفي صلاة الليل خاصة، والعمل المتفق عليه عندهم الذي لا يرون التهاون به في أي حال هو الحزب اليومي من القرآن، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله

ﷺ: **«من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل»**[(١)] إنه الحرص على عدم فواته مهما حالت دونه الحوائل، أو اعترضته العوارض، لأنهم يعلمون يقيناً أن هذا هو غذاء القلب الذي لا يحيا بدونه، إنهم يحرصون على غذاء القلب قبل غذاء البدن، ويشعرون بالنقص متى حصل شئ من ذلك، بعكس المفرطين الذين لا يشعرون إلا بجوع أبدانهم وعطشها، أو مرضها وألمها، أما ألم القلوب وعطشها وجوعها فلا سبيل لهم إلى الإحساس به.

إن قراءة القرآن في صلاة الليل هي أقوى وسيلة لبقاء التوحيد والإيمان غضاً طرياً ندياً في القلب.

إنها المنطلق لكل عمل صالح آخر من صيام أو صدقة أو جهاد وبر وصلة.

لما أراد الله سبحانه وتعالى تكليف نبيه محمد ﷺ بواجب التبليغ والدعوة وهو حمل ثقيلٌ جداً؛ وجَّهه إلى ما يعينه عليه وهو القيام بالقرآن: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً (٢) نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلاً﴾** [المزمل: ١-٧].

لقد كثر في زماننا هذا الحديث عن النجاح والسعادة والتفوق والقوة، وكثرت فيه المؤلفات وكل يدعي أن في كتابه أو برنامجه الدواء الشافي، والعلاج الناجع، وأنه الكتاب الذي لا تحتاج معه إلى غيره، **والحق أن هذا الوصف لا يجوز أن يوصف به إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم.**

---

(١) صحيح مسلم ج١/ ص٥١٥ (٧٤٧)، صحيح ابن حبان ج ٦/ ص ٣٦٩ (٢٦٤٣)، صحيح ابن خزيمة ج ٢/ ص١٩٥ (١١٧١)، سنن النسائي الكبرى ج ١/ ص ٤٥٨ (١٤٦٤)، سنن أبي داود ج ٢/ ص٣٤ (١٣١٣)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٦ (١٣٤٣)، سنن الترمذي ج٢/ ص ٤٧٤ (٥٨١).

ولعلاج هذه المشكلة ـ أعني انصراف الناس عن القرآن الكريم، واشتغال بعضهم بتلك المؤلفات بحثا عن السعادة والنجاح ـ يجئ هذا البحث ليسهم في تبيين الحقائق وتوضيح الدقائق، ورسم الطريق الصحيح للمنهج السليم الذي ينبغي أن يتبعه المسلم في حياته.

إن العبد إذا تعلق قلبه بكتاب ربه فتيقن أن نجاحه و نجاته وسعادته وقوته في قراءته وتدبره **تكون هذه البداية للانطلاق** في مراقي النجاح وسلم الفلاح في الدنيا والآخرة.

هذا البحث يتحدث عن الوسائل العملية التي تمكِّن ـ بعون الله تعالى ـ من الانتفاع بالقرآن الكريم، وهذه القواعد هي التي كان يسلكها سلفنا الصالح في تعاملهم مع القرآن الكريم، التي بسبب غفلة الكثيرين عنها أو بعضها أصبحوا لا يتأثرون ولا ينتفعون بما فيه من الآيات والعظات، والأمثال والحكم.

ومن أخذ بهذه الوسائل فإنه سيجد بإذن الله تعالى أن معاني القرآن تتدفق عليه حتى ربما يمضى عليه وقت طويل لا يستطيع تجاوز آية واحدة من كثرة المعاني التي تفتح عليه، وقد حصل هذا للسلف من قبلنا والأخبار في هذا كثيرة مشهورة.

قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله: «لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه لأنه كلام الله وكلامه صفته وكما أنه ليس لله نهاية فكذلك لا نهاية لفهم كلامه.. وإنما يفهم كلٌّ **بمقدار ما يفتح الله على قلبه**، وكلام الله غير مخلوق، ولا يبلغ إلى نهاية فهمه فهوم محدثة مخلوقة».. اهـ[1]، وهذا كلام صحيح والتجربة والواقع يشهد بذلك، فإن الناس يتفاوتون في فهمهم وإدراكهم لآيات القرآن الكريم، وتنزيلها

(١) مقدمة تفسير البسيط للواحدي (رسالة دكتوراه): ١ ـ ٤٣.

على أمور حياتهم، وأيضاً فإن الشخص نفسه قد ينفتح له فهم لبعض الآيات ويتأثر بها، ويأتي في وقت آخر يقف أمام الآية وقد أغلقت دونه، يقف أمامها ويقول لقد تأثرت بهذه الآية يوما من الأيام فأين ذاك التأثر؟ وأين ذاك الفهم؟

إن فهم القرآن وتدبره مواهب من الكريم الوهاب يعطيها **لمن صدق في طلبها** وسلك الأسباب الموصلة إليها بجد واجتهاد، أما المتكئ على أريكته، المشتغل بشهوات الدنيا ويريد فهم القرآن فهيهات هيهات ولو تمنى على الله الأماني.

مادة هذا البحث ليست مجموعة نظريات أو فرضيات توضع كحلول للمشكلة المراد علاجها، إنما هي خطوات عملية، تحتاج إلى تدرج وتكرار حتى يصل المتعلم فيها إلى ما وصف من نتائج وثمار، قال ثابت البناني: «كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة».. اهـ، وما قاله ثابت البناني حق، **فقف عند الباب حتى يفتح لك**؛ إن كنت تدرك عظمة ما تطلب فإنه متى فتح لك ستدخل إلى عالم لا تستطيع الكلمات أن تصفه ولا العبارات أن تصور حقيقته، أما إن استعجلت وانصرفت فستحرم نفسك من كنز عظيم وفرصة قد لا تدركها فيما تبقى من عمرك.

كنت أحاول كتابة تفسير تربوي يركز في مضمونه على ما يقوي الإيمان ويزيد الخشوع دون استطراد أو خروج عن هذا المسار، ولكن بعد أن بدأت بالاشتراك مع الأخ الدكتور إبراهيم بن سعيد الدوسري بوضع منهج لهذا التفسير، وتمت كتابة المرحلة النظرية للبحث، وبعد محاولة كتابة القسم التطبيقي له، تبين لي أني مهما كتبت، أو كتب غيري في هذا الميدان فلن يحقق المطلوب، والصواب في هذا الأمر أن كل إنسان لا بد أن يغرف من المصب

الرئيس وأن ينهل من النبع مباشرة دون أية واسطة تبعده عن المقصود[1]، تبين أن ما أبحث عنه هو منهج وقواعد لفهم القرآن الكريم مباشرة والتأثر والانتفاع به، فتأملت حال السلف رحمهم الله في هذا الأمر، ودرست منهجهم في تعاملهم معه، وقارنت بين حالنا وحالهم فكانت مادة هذا البحث ومحتواه، والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط.

- **محور البحث ومشكلته:**

نحن نؤمن ونصدق بقول الله تعالى: **﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [الحشر: ٢١]، ونقرأ قول الله تعالى: **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾** [الزمر: ٢٣]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾** [التوبة: ١٢٤]، فهذا هو القرآن، ونحن نقرؤه، ولكن ما أخبر الله تعالى عنه من تأثير فإننا لا نجده! فلماذا؟!

القرآن هو القرآن، وقد وصل والحمد لله إلينا محفوظاً تاماً مصوناً من الزيادة والنقص.

أين الخلل؟ وأين المشكلة؟

في كل تأثير عندنا ثلاثة أركان: المؤثر، والمتأثر، والموصل.

فالمؤثر: ـ وهو القرآن ـ أثره ثابت لا نشك فيه.

(١) وهذا في جانب تزكية القلوب، وتربية النفوس، أما الجوانب الأخرى من القرآن كالأحكام مثلاً فيحتاج القارئ معها إلى ما يفصلها ويوضحها.

بقي الاحتمال في الأمرين الأخيرين: الموصِّل، والمتأثر.

المتأثر: هو قلب المتلقي القارئ، والموصِّل: هو القراءة والتدبر.

والبحث يحاول استكشاف الخلل في الجهتين، ويقترح الحلول المبنية على تجارب الناجحين في تحصيل التأثير والأثر.

أيضاً: حالة الفتح والفهم في وقت وإغلاقه في وقت آخر - وقد سمعت الشكوى من هذه الحال عند عدد من الأشخاص - تقرأ الآية في وقت فتتأثر بها وتتفتح لك فيها معان، ثم تعود إليها بعد فترة فتقف أمامها لا تذكر شيئا من تلك المعاني ولا تحس بذلك الأثر الذي حصل سابقاً! فما السر ؟ وما الأسباب ؟

هذا ما تحاول هذه الدراسة أن تجيب عنه، وتشخصه، وتصف له العلاج المناسب بإذن الله تعالى.

- **خلاصة البحث**

يتكون البحث من تمهيد وعشرة مفاتيح :

التمهيد: في معنى التدبر وعلاماته ، وبيان خطأ في مفهومه.

والمفتاح الأول: خلاصته أن القلب آلة الفهم والعقل والإدراك، وأن القلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، يفتحه متى شاء ويقفله متى شاء، وفتح القلب للقرآن يكون بأمرين: (الأول): دوام التضرع إلى الله تعالى وسؤاله ذلك، (والثاني): القراءة المكثفة عن عظمة القرآن، وأهميته، وحال السلف معه.

والمفتاح الثاني: مضمونه أنه ينبغي أن نعرف قيمة القرآن وعظمته، وأن نستحضر الأهداف والمقاصد التي من أجلها نقرؤه، فدائما اسأل نفسك: لماذا أريد قراءة القرآن؟ ولتكن الإجابة واضحة مفصلة، وإن كانت مكتوبة فذاك

أولى، والمقاصد الأساسية لقراءة القرآن خمسة: العلم، والعمل، والمناجاة، والثواب، والشفاء.

والمفتاح الثالث إلى العاشر: الحديث فيها عن إجابة سؤال مهم: كيف نقرأ القرآن الكريم؟ وكيف هنا متوجهة إلى: الأحوال والكيفيات التي تحقق أعلى قدر من التركيز والعمق في فهم القرآن الكريم، فكل واحد منها يعطي درجة في التركيز والفهم، وهذه المفاتيح هي: أن تكون القراءة في صلاة، في ليل، حفظاً، بترتيل، وجهر، وتكرار، وربط، مع ختم المقدار الذي يقرأ ويراد حصول تدبره كل أسبوع.

هذه خلاصة هذا البحث، نسأل الله تعالى أن يحقق مقاصدنا، وأن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

- **المفاتيح العشرة:**

مفاتيح تدبر القرآن عشرة، مجموعة في قولك: (**لإصلاح ترتجي**)..

(ل) **قلب**: والمعنى أن القلب هو آلة فهم القرآن، والقلب بيد الله تعالى يقلبه كيف شاء، والعبد مفتقر إلى ربه ليفتح قلبه للقرآن فيطلع على خزائنه وكنوزه.

(أ) **أهداف، أو أهمية**: أي استحضار أهداف قراءة القرآن؟ أي لماذا تقرأ القرآن.

(ص) **صلاة** : أن تكون القراءة في صلاة.

(ل) **ليل**: أن تكون القراءة والصلاة في ليل، أي وقت الصفاء والتركيز.

(أ) **أسبوع**: أن يختم القرآن كل أسبوع.

(ح) **حفظاً**: أن تكون القراءة حفظاً عن ظهر قلب بحيث يحصل التركيز التام وانطباع الآيات عند القراءة.

(ت) **تكرار**: تكرار الآيات وترديدها لتحقيق مزيد من التثبيت.

(ر) **ربط** : ربط الآيات بواقعك اليومي وبنظرتك للحياة.

(ت) **ترتيل**: الترتيل والترسل في القراءة، وعدم العجلة، إذ المقصود هو الفهم وليس الكم، وهذه مشكلة الكثيرين، وهم بهذا الاستعجال يفوتون على أنفسهم خيراً عظيماً.

(ج) **جهراً**: الجهر بالقراءة؛ ليقوى التركيز ويكون التوصيل بجهتين بدلا من واحدة؛ أي الصورة والصوت.

فهذه وسائل وأدوات يكمل بعضها بعضا في تحقيق وتحصيل مستوى أعلى وأرفع في تدبر آيات القرآن الكريم، والانتفاع والتأثر بها.

وإن مما يتأكد التنبيه عليه عدم قصر وحصر النجاح في تدبر القرآن على هذه المفاتيح، فما هي إلا أسباب والنتائج بيد الله تعالى يعطيها من شاء ويمنعها من شاء، فلا يعني ـ مثلاً ـ إذا قلنا: من مفاتيح تدبر القرآن: أن تكون القراءة في ليل؛ أن قراءة النهار لا تفيد وملغاة، وإذا قلنا: أن تكون القراءة في صلاة؛ أن القراءة خارج الصلاة لا تحقق التدبر، فالحصر والقصر غير صحيح، بل القرآن كله مؤثر، يؤثر في كل وقت، وعلى أي حال، متى شاء الله ذلك، وما أقوله إن هي إلا وسائل بحسب الاستقراء من النصوص وحال السلف، وهي أسباب يسلكها كل مريد للانتفاع بالقرآن بشكل أكبر وأعمق وأشمل، وهي أسباب نذكّر بها من حرم من تدبر القرآن وهو يريده؛ نقول له اسلك هذه الأسباب لعل الله إذا رأى مجاهدتك في هذا الأمر وعلم منك صدقك أن يفتح لك خزائن كتابه تتنعم فيها في الدنيا قبل الآخرة.

إن التلذذ بالقرآن لمن فتحت له أبوابه لا يعادله أي لذة أو متعة في هذه الحياة ولكن أكثرالناس لا يعلمون.

• دعوة للتواصل عبر موقع : القـــرآن والحيـــاة

حينما كتبت هذا البحث حاولت الاختصار، والإيجاز قدر الإمكان لئلا أخرج عن مقصوده، فأصرف القارئ عن الانتفاع به، وقد تضمن عدداً من القضايا المهمة التي تحتاج إلى نقاش وحوار، ومن أجل ذلك فإني أقترح أن يتم التواصل بين الجميع في النقاش العلمي الهادف عبر موقع: (**القرآن والحياة**) على الرابط **(www.quranlife.com)**، أتمنى من الإخوة الكرام أن يتكرموا ببيان رأيهم في القضايا التي تضمنها هذا الكتاب ليستفيد منها الجميع، وليكون الرأي أقرب للصواب.

وكتبه
د. خالد بن عبد الكريم اللاحم
بريد إلكتروني: **lahim@quranlife.com**

تمهيد: في معنى التدبر وعلاماته

• **المسألة الأولى: معنى التدبر**

قال الميداني: «التدبر هو: التفكر الشامل الواصل إلى أواخر دلالات الكلم ومراميه البعيدة».. اهـ[(١)]، ومعنى تدبر القرآن: هو التفكر والتأمل لآيات القرآن من أجل فهمه، وإدارك معانيه، وحكمه، والمراد منه.

• **المسألة الثانية: علامات التدبر**

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم علامات وصفات تصف حقيقة تدبر القرآن وتوضحه بجلاء من ذلك :

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]، **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** [الأنفال: ٢]، **﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾** [التوبة: ١٢٤]، **﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾** [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، **﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾** [مريم: ٥٨]، **﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾** [الفرقان: ٧٣]، **﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾** [القصص: ٥٣]، **﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ**

---

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل: ١٠.

جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

- **فتحصل من الآيات السابقة سبع علامات هي:**

١ ـ إجتماع القلب والفكر حين القراءة، ودليله التوقف تعجباً وتعظيماً.
٢ ـ البكاء من خشية الله.
٣ ـ زيادة الخشوع.
٤ ـ زيادة الإيمان، ودليله التكرار العفوي للآيات.
٥ ـ الفرح والاستبشار.
٦ ـ القشعريرة خوفاً من الله تعالى ثم غلبة الرجاء والسكينة.
٧ ـ السجود تعظيما لله عز وجل.

فمن وجد واحدة من هذه الصفات، أو أكثر فقد وصل إلى حالة التدبر والتفكر، أما من لم يحصل أياً من هذه العلامات فهو محروم من تدبر القرآن، ولم يصل بعد إلى شئ من كنوزه وذخائره، قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه لخليق ألا يكون أوتي علماً لأن الله نعت العلماء فقال: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]»[١]، وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم»[٢]، إن كل يوم يمر بك ولا يكون لك نصيب ورزق من هذه العلامات، فقد فاتك فيه ربح عظيم، وهو يوم حري أن يبكى على خسارته.

(١) الزهد لابن المبارك: ٤١، حلية الأولياء: ٥ـ٨٨.
(٢) تفسير القرطبي: ١٥ـ١٤٩.

• **المسألة الثالثة: مفهوم خاطئ لمعنى التدبر**

إن مما يصرف كثيراً من المسلمين عن تدبر القرآن، والتفكر فيه، وتذكر ما فيه من المعاني العظيمة؛ إعتقادهم صعوبة فهم القرآن، وهذا خطأ في مفهوم تدبر القرآن، وانصراف عن الغاية التي من أجلها أنزل ، فالقرآن كتاب تربية وتعليم، وكتاب هداية وبصائر لكل الناس، كتاب هدى ورحمة وبشرى للمؤمنين، كتابٌ قد يسَّر الله تعالى فهمه وتدبره ،كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

قال ابن هبيرة رحمه الله: «ومن مكايد الشيطان تنفيره عباد الله من تدبر القرآن، لعلمه أن الهدى واقع عند التدبر، فيقول هذه مخاطرة، حتى يقول الإنسان أنا لا أتكلم في القرآن تورعا»[(١)]، وقال الشاطبي رحمه الله: «فمن حيث كان القرآن معجزاً أفحم الفصحاء، وأعجز البلغاء أن يأتوا بمثله، فذلك لا يخرجه عن كونه عربياً جارياً على أساليب كلام العرب، ميسراً للفهم فيه عن الله ما أمر به ونهى».. اهـ[(٢)]، قال ابن القيم رحمه الله: «من قال: إن له تأولاً لا نفهمه، ولا نعلمه، وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه، ففي قلبه منه حرج».. اهـ[(٣)]، ويقول الصنعاني رحمه الله: «فإن من قرع سمعه قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠] فهم معناه دون أن يعرف أن (ما): كلمة شرط، و (تقدموا): مجزوم بها لأنه شرطها، و (تجدوه): مجزوم بها لأنه جزاؤها، ومثلها كثير... فياليت شعري! ما الذي خَصَّ الكتاب والسنَّة بالمنع عن معرفة معانيها، وفهم تراكيبها،

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ٣ـ ٢٧٣.
(٢) الموافقات ٣ـ٨٠٥.
(٣) التبيان في أقسام القرآن: ١٤٤.

ومبانيها.. حتى جعلت كالمقصورات في الخيام.. ولم يبق لنا إلا ترديد ألفاظها وحروفها...» اهـ[١].

إن الصحيح والحق في هذه المسألة: أن القرآن معظمه واضح، وبين وظاهر لكل الناس، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله»[٢]، ومعظم القرآن من القسمين الأولين.

إن عدد آيات الأحكام في القرآن ٥٠٠ آية، وعدد آيات القرآن ٦٢٣٦ آية.

إن فهم الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، والعلم بالله واليوم الآخر؛ لا يشترط له فهم المصطلحات العلمية الدقيقة، من نحوية وبلاغية وأصولية وفقهية. فمعظم القرآن بيِّنٌ واضح ظاهر، يدرك معناه الصغير والكبير، والعالم والأمي، فحينما سمع الأعرابي قول الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] قال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى أقسم. وحينما أخطأ إمام في قراءة آية النحل: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] قرأها: من تحتهم، صوب له خطأه امرأة عجوز لا تقرأ ولا تكتب ، إن القرآن بيِّنٌ واضح ظاهر، وفهمه وفقهه وتدبره ليس صعبا بحيث نغلق عقولنا، ونعلق فهمه كله بالرجوع إلى كتب التفسير، فنعمم حكم الأقل على الكل فهذا مفهوم خاطئ وهو نوع من التسويف في تدبر القرآن وفهمه.

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد ص ٣٦.

(٢) تفسير الطبري ١/ ٧٥، مقدمة ابن تيمية ١١٥.

إن إغلاق عقولنا عن تدبر القرآن بحجة عدم معرفة تفسيره، والاكتفاء بقراءة ألفاظه مدخل من مداخل الشيطان على العبد ليصرفه عن الاهتداء به.

وإذا سلمنا بهذه الحجة فإن العقل والمنطق والحزم والحكمة أنك إذا أشكل عليك معنى آية أن تبادر وتسارع للبحث عن معناها والمراد بها لا أن تغلق عقلك فتقرأ دون تدبر أو تترك القراءة.

المفتاح الأول: حب القرآن

• المسألة الأولى: القلب آلة الفهم والعقل

الكلام في هذا المسألة ـ بإيجاز ـ من وجهين:

الأول: أن القلب هو آلة الفهم والعقل.

الثاني: أن القلب بيد الله وحده لا شريك له.

* **فأما الوجه الأول**: فقد دل على ذلك نصوص كثيرة، الآيات القرآنية منها تزيد على مائة آية، وسأكتفي في هذا المبحث بذكر ثلاث منها مما هي صريحة الدلالة على المسألة، وهي: قول الله تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾** [الكهف: ٥٧]، وقوله تعالى: **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾** [الحج: ٤٦]، وقوله تعالى: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾** [الأحزاب: ٤].

وليس هذا مقام بسط هذه المسألة وتأصيلها، وإنما المقصود التذكير بأن القلب آلة الفهم والعقل والإدراك، ومن ذلك فهم القرآن وتدبره.

* **وأما الوجه الثاني**: القلب بيد الله وحده لا شريك له، يفتحه متى شاء ويغلقه متى شاء، بحكمته وعلمه سبحانه، قال الله تعالى: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾** [الأنفال: ٢٤]، وقال تعالى: **﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ﴾** [الكهف: ٥٧]، وقال تعالى: **﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾** [الأعراف: ١٤٦]، وقد جعل لذلك أسباباً ووسائل، من سلكها وفق، ومن تخلف عنها خذل ويأتي بيان ذلك في المسائل التالية.

فتذكر وأنت تحاول فهم القرآن أن القلوب بيد الله تعالى، وأن الله يحول بين المرء وقلبه، فليست العبرة بالطريقة والكيفية؛ بل الفتح من الله وحده، وما يحصل لك من التدبر فهو نعمة عظيمة من الله تعالى تستوجب الشكر لا الفخر، فمتى أعطاك الله فهم القرآن، وفتح لك معانيه، فاحمد الله تعالى واسأله المزيد، وانسب هذه النعمة إليه وحده، واعترف بها ظاهراً وباطناً.

- **المسألة الثانية: علاقة حب القرآن بالتدبر**

من المعلوم أن القلب إذا أحب شيئا تعلق به، واشتاق إليه، وشغف به، وانقطع عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، واجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التدبر المكين، والفهم العميق، وبالعكس إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب على القرآن يكون صعباً، وانقياده إليه يكون شاقاً لا يحصل إلا بمجاهدة ومغالبة، وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول أقوى وأعلى مستويات التدبر.

والواقع يشهد لصحة ماذكرت، فإننا مثلا نجد أن الطالب الذي لديه حماس ورغبة وحب لدراسته يستوعب ما يقال له بسرعة فائقة وبقوة، وينهي متطلباته وواجباته في وقت وجيز، بينما الآخر لا يكاد يعي ما يقال له إلا بتكرار وإعادة، وتجده يذهب معظم وقته ولم ينجز شيئا من واجباته.

- **المسألة الثالثة: علامات حب القلب للقرآن**

حب القلب للقرآن له علامات منها:

١ ـ الفرح بلقائه.

٢ ـ الجلوس معه أوقاتاً طويلة دون ملل.

٣ ـ الشوق إليه متى بعد العهد عنه وحال دون ذلك بعض الموانع، وتمني لقائه والتطلع إليه ومحاولة إزالة العقبات التي تحول دونه.

٤ ـ كثرة مشاورته والثقة بتوجيهاته والرجوع إليه فيما يشكل من أمور الحياة صغيرها وكبيرها.

٥ ـ طاعته، أمراً ونهياً.

هذه أهم علامات حب القرآن وصحبته، فمتى وُجدت فإن الحب موجود، ومتى تخلفت فحب القرآن مفقود، ومتى تخلف شئ منها نقص حب القرآن بقدر ذلك التخلف.

إنه ينبغي لكل مسلم أن يسأل نفسه هذا السؤال: هل أنا أحب القرآن ؟

إنه سؤال مهم وخطير، وإجابته أشد خطراً، إنها إجابة تحمل معان كثيرة.

وقبل أن تجيب على هذا السؤال ارجع إلى العلامات التي سبق ذكرها لتقيس بها إجابتك وتعرف بها الصواب من الخطأ.

إن بعض المسلمين لو سئل هل تحب القرآن؟ يجيب: نعم أحب القرآن، وكيف لا أحبه؟ لكن هل هو صادق في هذا لجواب؟.

كيف يحب القرآن وهو لا يطيق الجلوس معه دقائق، بينما تراه يجلس الساعات مع ما تهواه نفسه وتحبه من متع الحياة..؟!

قال أبو عبيد: «لا يسأل عبد عن نفسه إلا بالقرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله»[1].

(١) مصنف ابن أبي شيبة ١٠ ـ ٤٨٥.

إننا ينبغي أن نعترف بالتقصير إذا لم توجد فينا العلامات السابقة، ثم نسعى في التغيير، وهو ما سيتم بيانه في المسألة التالية.

- **المسألة الرابعة: وسائل تحقيقه**

❖ **الوسيلة الأولى: التوكل على الله تعالى والاستعانة به:**

الاستعانة بالله تعالى، وسؤاله سبحانه أن يرزقك (حب القرآن)، ومن ذلك الدعاء العظيم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما قال عبد قط إذا أصابه هم أو حزن: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكان حزنه فرحاً**، قالوا يا رسول الله: ينبغي لنا أن نتعلم هذه الكلمات، قال: **أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن**»[(١)].

فيكرره كل يوم ثلاثاً، خمساً، سبعاً، ويتحرى مواطن الإجابة، ويجتهد أن يكون سؤاله بصدق، وبتضرع، وإلحاح، وشفقة، وحرص شديد أن يجاب وأن يعطى، إن بعض الناس لا يعرف الإلحاح في المسألة إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها بارداً باهتاً، هذا إن دعا وسأل.

ومن الاستعانة بالله في حصول تدبر القرآن ما شرع لقارئ القرآن من الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان الرجيم، ومن البسملة في أوائل السور ففيها

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١/ ص٣٩١ (٣٧١٢)، صحيح ابن حبان ج٣/ ص ٢٥٣ (٩٧٢)، مصنف ابن أبي شيبة ج ٦/ ص٤٠ (٢٩٣١٨)، المعجم الكبير ج ١٠/ ص ١٦٩ (١٠٣٥٢)، مسند أبي يعلى ج ٩ ص١٩٨ (٥٢٩٦)، مسند البزار ج ٥/ ص ٣٦٣ (١٩٩٤)، مجمع الزوائد ج١٠/ ص ١٣٦، الدعوات الكبير ج/ ١ ص١٢٤ (١٦٤)، وصحح إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ج ١/ ص ٢٣٦ (١٩٩).

طلب العون من الله تعالى على تدبر القرآن عامة والسورة التي يريد قراءتها خاصة.

❖ **الوسيلة الثانية: فعل الأسباب:**

وخير الأسباب وأنفعها في هذا المقام **العلم** ووسيلته: القراءة؛ أي القراءة عن عظمة القرآن مما ورد في القرآن والسنّة وأقوال السلف في تعظيمهم للقرآن وحبهم له.

أقترح على كل راغب في تحصيل حب القرآن أن يضع له برنامجاً يتضمن نصوصاً من القرآن والسنّة وأقوال السلف، فيها بيان لعظمة القرآن ومكانته، ويرتبها على مستويين: متن، وشرح، فالمتن يحفظ ويكرر، والشرح يقرأ ويفهم، ويتم ربط المعاني التي تضمنها الشرح بألفاظ المتن[1].

ويرجى بإذن الله تعالى لمن طبق هذا البرنامج أن يرزقه الله حب القرآن وتعظيمه، الذي هو المفتاح الرئيس لتدبر القرآن وفهمه، وكل كلام يقال في هذا الموضوع فهو متوقف عليه، وهذا السر في أن الكثير منا يقرأ في هذا الموضوع ولا يخرج بأي نتائج إيجابية.

فأكثر من القراءة عن القرآن، اقرأ باستمرار عن حال السلف مع القرآن وقصصهم في ذلك وأخبارهم.

ينبغي أن نعلم أن عدم حبنا للقرآن، وعدم تعظيمنا له سببه الجهل بقيمته، مثل الطفل تعطيه خمسمائة ريال فيرفض ويطلب ريالاً واحداً، فكذلك من لا يعرف قيمة القرآن يزهد فيه ويهجره ويشتغل بما هو أدنى منه.

(١) ومثل هذا العمل لا ينوب فيه أحد عن أحد بل على كل شخص أن يجمع لنفسه كل نص يتأثر به، ويرتب ما يجمع على الطريقة التي وصفتها، كما أن تكرار قراءة هذا الكتاب أيضا يحقق لك هذا الهدف.

لو أعلن عن كتاب من يختبر فيه وينجح يمنح عشرة مليارات؛ فكيف يكون حرص الناس وتعلقهم بهذا الكتاب؟ وكيف يكون الطلب عليه، والاشتغال بمذاكرته؟.. **إن القرآن كتاب من ينجح فيه يمنح مُلكاً لا حدود له.**

إن الكثير من المسلمين تعظيمه للقرآن تعظيم مجمل، فحد علمهم: أنه كتاب منزل من عند الله، تعبَّدنا بتلاوته في الصلاة، ونقرأه على المرضى للشفاء، أما العلم التفصيلي بعظمة القرآن ومكانته وما يحققه من نجاح للإنسان في هذه الحياة فهو محل جهل عند الكثيرين، وأضرب لذلك مثالاً: لما تسمع عن شخص عظيم له أثر في التاريخ يتكون لديك صورة إجمالية عنه، ويصبح له مكانة في نفسك، وعندما تقرأ كتابا من ٦٠٠ صفحة عن بطولاته وتضحياته وقصص كرمه وبره للناس، وما حققه من إنجازات، وما قام به من مرؤات، تعيش مع هذا الكتاب مدة شهر حرفاً حرفاً فبكل تأكيد أن صورة هذا القائد أو المصلح ستزداد عمقاً، ويزداد حبك وتعظيمك له، وهذا التأثر أمر مشاهد لا يمكن لأحد إنكاره، فلم لا نوظفه لزيادة حبنا وتعظيمنا للقرآن الكريم وتعلقنا به، فإذا فعلنا ذلك فإن هذا الكتاب العظيم سيزيد حبنا وتعظيمنا لله عز وجل، وبهذا نصل إلى مرتبة ودرجة أولياء الله المتقين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين لو أقسم الواحد منهم على الله لأبره، وحقق له أمنيته.

المفتاح الثاني : أهداف قراءة القرآن

• تمهيد: في التنبيه إلى استحضار أهداف قراءة القرآن

معظم الناس إذا سألته لماذا تقرأ القرآن؟ يجيبك لأن تلاوته أفضل الأعمال، ولأن الحرف بعشر حسنات، والحسنة بعشر أمثالها، فيقصر نفسه على هدف ومقصد الثواب فحسب، أما المقاصد والأهداف الأخرى فيغفل عنها.

والمشتغل بحفظ القرآن تجده يقرأ القرآن ليثبت الحفظ، الهدف تثبيت الحروف وصور الكلمات، فتجده تمر به المعاني العظيمة المؤثرة فلا ينتبه لها، ولا يحس ولا يشعر بها؛ لأنه قصر همته وركز ذهنه على الحروف وانصرف عن المعاني؛ **فلهذا السبب تجد حافظاً للقرآن غير عامل ولا متخلق به.**

وجمع الذهن بين نيات ومقاصد متعددة في وقت واحد عملية تحتاج إلى انتباه وقصد وتركيز.

وفي أي عمل نعمله كلما تعددت النيات وكثرت كلما كان العمل أعظم أجراً وأكبر تأثيراً على العامل، مثل الصدقة على ذي الرحم: صدقة وصلة، ومثل النفقة على الأهل: نفقة وصدقة.

وقراءة القرآن يجتمع فيها خمس مقاصد ونيات كلها عظيمة، وكل واحدة منها كافية لأن تدفع المسلم ليسارع إلى قراءة القرآن، ويكثر الاشتغال به وصحبته. وأهداف قراءة القرآن مجموعة في قولك :(ثمَّ شعٌّ): (الثاء): ثواب، (الميم): مناجاة، مسألة، (الشين): شفاء ، (العين): علم، (العين): عمل.

فمتى قرأ المسلم القرآن مستحضرا المقاصد الخمسة معا كان انتفاعه بالقرآن أعظم، وأجره أكبر، قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل**

امرئ ما نوى»[١]، فمن قرأ القرآن يريد العلم رزقه الله العلم، ومن قرأه يريد الثواب فقط أعطي الثواب، قال ابن تيمية رحمه الله: من تدبر القرآن طالباً الهُدى منه تبين له طريق الحق»[٢]، وقال القرطبي رحمه الله: «فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يجب، وجعل في قلبه نوراً».. اهـ[٣]، **ومن قرأ القرآن يريد النجاح يسر الله له النجاح.**

❖ الهدف الأول: قراءة القرآن لأجل العلم

• المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد

هذا هو المقصد المهم، والمقصود الأعظم من إنزال القرآن، والأمر بقراءته، بل ومن ترتيب الثواب على القراءة، قال الله عز وجل: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩]، ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**﴾ [ق: ٣٧].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أردتم العلم فانثروا هذا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين».. اهـ[٤]، وقال الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ: «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار».. اهـ[٥]، وقال مسروق بن الأجدع رحمه الله ـ وهو من كبار تابعي الكوفة

(١) صحيح البخاري ج ١/ ص٣ (١)، صحيح مسلم ج ٣/ ص ١٥١٥ (١٩٠٧)، سنن أبي داود ج٢ / ٢٦٢ (٢٢٠١)، سنن الترمذي ج ٤/ ص ١٧٩ (١٦٤٧).

(٢) العقيدة الواسطية ١٠٣.

(٣) تفسير القرطبي ١١ ـ ١٧٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ٦ ـ ١٢٦، المعجم الكبير للطبراني: ٩ ـ ١٣٦، شعب الإيمان للبيهقي: ٢ ـ ٣٣٢.

(٥) التبيان للنووي: ٢٨.

وأجمعهم لعلم الصحابة ـ: «**ما نسأل أصحاب محمد ﷺ عن شئ إلا وعلمه في القرآن ولكن قصر علمنا عنه**»[١]، وقال عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: «لقد عشنا دهراً طويلاً وإن أحدنا يؤتى الإيمان[٢] قبل القرآن[٣] فتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل».. اهـ[٤]، وقال الحسن البصري رحمه الله: «**ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم فيم أنزلت وما أراد بها**»[٥] وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: قال: «عليكم بالقرآن فتعلّموه وعلّموه أبناءكم فإنكم عنه تسألون، وبه تجزون، وكفى به واعظاً لمن عقل».. اهـ[٦]، وقال الحسن البصري رحمه الله: «قراء القرآن ثلاثة أصناف: صنف اتخذوه بضاعة يأكلون به، وصنف أقاموا حروفه، وضيعوا حدوده، واستطالوا به على أهل بلادهم، واستدروا به الولاة، كثر هذا الضرب من حملة القرآن ـ لا كثرهم الله ـ، وصنف **عمدوا إلى دواء القرآن فوضعوه على داء قلوبهم**، فركدوا به في محاريبهم، وحنوا به في برانسهم، واستشعروا الخوف، فارتدوا الحزن، فأولئك الذين يسقي **الله بهم الغيث وينصر بهم على الأعداء**، والله لهؤلاء الضرب في حملة القرآن أعز من الكبريت الأحمر».. اهـ[٧].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي: ٥/ ٢٣١.
(٢) أي ما تضمنته الآيات من العلم بالله واليوم الآخر.
(٣) أي مجرد قراءة الألفاظ.
(٤) المستدرك على الصحيحين ج ١/ ص ٩١ (١٠١)، سنن البيهقي الكبرى ج٣/ ص ١٢٠(٥٠٧٣).
(٥) تفسير القرطبي: ١/ ٢٦.
(٦) كنز العمال: ٢٣، مشكل الآثار للطحاوي: ١/ ١٧١.
(٧) ابن الجوزي في العلل ١/ ١١٠، والكبريت الأحمر: أي الذهب الخالص، انظر: لسان العرب (كبر) ٥/ ١٢٥.

قال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: «**إني لأقرأ القرآن وأنظر في آيه، فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشئ من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لو فهموا ما يتلون، وعرفوا حقه فتلذذوا به واستحلوا المناجاة لذهب عنهم النوم فرحاً بما قد رزقوا**»[1].

- **المسألة الثانية: العلم الذي نريده من القرآن**

ما العلم الذي نريده من القرآن؟ أهو علم الصناعة؟ أو الزراعة؟ الإدارة؟ علم الدين؟ علم الدنيا؟

يجيب ابن القيم رحمه الله على هذه المسألة المهمة بأبيات جميلة يقول فيها:

والعلم أقسام ثلاث ما لها
من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله
وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه
وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي
جاءت عن المبعوث بالقرآن

إننا نريد العلم الذي يحقق لنا النجاح في الحياة، يحقق لنا السعادة، والحياة الطيبة، والنفس المطمئنة، والرزق الحلال الواسع، ويحقق لنا الأمن في الدنيا والآخرة، نريد العلم الذي يولد الإرادة والعزيمة، ويقضي على كل مظاهر الفشل والإخفاق في جميع مجالات الحياة، إنه: العلم بالله تعالى والعلم باليوم الآخر، العلم

(١) لطائف المعارف ٢٠٣.

بالله تعالى أوله العلم المقتضي للا ستغفار كما قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ٢٣]، فالعلم الذي يورث الاستغفار، ويدفع إليه هو العلم المؤدي للنجاح، وهذا العلم هو: علم لا إله إلا الله، على وجه يحقق المقصود لفظاً ومعنى.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]: هم الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير.

ولفظ **العلم** مصطلح واسع جداً، وإطلاقاته كثيرة، وهو لفظ جذاب، وكل يصطفيه لنفسه ويعتبر ما عداه ليس بعلم، ومن ذلك: أهل العلوم الدنيوية يسمون معارفهم علماً، ويسمون العلوم الأخرى ـ بما فيها علوم الدين ـ: أدباً... الخ، وكل ذلك يعتبر علماً فكل معرفة علماً، لكن مجالاته متعددة، ويقيد فيقال علم كذا، أما إذا أطلق العلم عند المسلمين وفي القرآن والسنّة خاصة فيراد به ما ذكره ابن القيم، وأيضا شاع بين الناس قصر هذا العلم على قسم واحد منه وهو العلم بالحلال والحرام، وهذا خطأ شائع، فيقصرون كل فضل وارد في العلم في القرآن والسنّة على علم الفروع أي الفقه، أو المسائل الخلافية من علم الاعتقاد، أما الأصول المتفق عليها فيصرف اللفظ عنها، وقد تجد من يجادل في هذه الحقيقة، فالصحيح أن العالم حقاً هو من يخشى الله تعالى، وإن كان لا يعرف كتابة اسمه، كما قيل:

ورأس العلم تقوى الله حقا

وليس بأن يقال لقد رئستا

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلا»[1].

(١) مفتاح دار السعادة: ١/ ٥١.

- **المسألة الثالثة: كيفية تحقيق هذا المقصد**

إن مما يعين على تحقيق هذا المقصد أن تقرأ القرآن كقراءة الطالب لكتابه ليلة الامتحان، قراءة مركزة واعية، قراءة من يستعد ليختبر فيه إختباراً دقيقاً.

إننا في هذه الحياة مختبرون في القرآن، فمنا الجاد النشيط الذي يذاكر هذا الكتاب باستمرار، وأجوبته حاضرة وراسخة، ومنا المهمل المقصر اللاعب الذي إذا سئل عن شئ في القرآن قال: هاه هاه..! لا أدري.

أن تقرأ القرآن قراءة الإداري للائحة النظام التي تنظم عمله، وتحدد الإجابة عن كل معاملة، ويحتاج إلى الرجوع إليها يومياً، إنه من المقرر أن الإداري الناجح هو من يحفظ اللائحة ويفهمها فهماً دقيقاً شاملاً، وبه يتفوق المتفوقون في الإدارة والقيادة.

إن القرآن هو الذي يجب الرجوع إليه في كل موقف من مواقف حياتنا، وعليه فمن أراد أن يكون شخصاً ناجحاً في الحياة فعليه بحفظه وفهم نصوصه، ليمكنه الحصول على الإجابات الفورية والسريعة والصحيحة في كل حالة تمر به في حياته.

وقد ورد في القرآن الكريم عدد من الصور والنماذج لهؤلاء الناجحين:

من ذلك جواب النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه إذ هما في الغار: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠]، وجواب موسى عليه السلام لقومه: ﴿**كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء: ٦٢]، وجواب يوسف عليه السلام لما دُعي للفحشاء: ﴿**مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [يوسف: ٢٣]، إنها ردود سريعة وحاضرة وقوية في أصعب المواقف التي تمر بالإنسان، وتطيش فيها عقول الرجال، إنه الثبات والرسوخ ممن حفظوا كتاب ربهم، وفقهوا ما فيه.

- **المسألة الرابعة: من تطبيقات مقصد العلم**

أن تضع في ذهنك معاني وأسئلة محددة تريد البحث عن جوابها في القرآن، مثلك في هذا مثل: من يسير في طريق وهو خالي الذهن؛ أو من يسير وهو يبحث عن هدف معين، إنه من المشاهد - مثلا - أننا نمر بالشارع مرار وتكراراً فلا ننتبه لوجود محل معين فيه إلى أن نحتاج إليه فنبدأ بالتركيز والبحث فنكتشفه، وقبل ذلك لو سئلنا هل يوجد في الشارع الفلاني مكتبة؟ فنقول لا، ونؤكد أنه لا يوجد، بينما هي موجودة، لكن لم ننتبه مع أننا مررنا بجوارها مئات المرات.

إن كل موقف أو حدث أو حالة تمر بك تسأل نفسك: أين ذكرت في القرآن؟ هل وردت في كتاب الله عز وجل؟

وكم قرأنا وسمعنا عمن يندهش لغياب معنى آية من القرآن عن قلبه فتجده يقول: أهذه آية في القرآن؟كأني أسمعها لأول مرة[١].

نعم إن قراءة معاني الآيات أمر يختلف تماماً عن قراءة الألفاظ، ونسيان المعاني وغيابها أمر يحصل مع أن اللفظ موجود واللسان ينطق به ويكرره.

- **المسألة الخامسة: القرآن والبرمجة اللغوية العصبية**

يقول الدكتور محمد التكريتي: «لو كان ملتون أريكسون[٢] يعرف العربية، وقرأ القرآن لوجد ضالته المنشودة فيما حاول أن يصل إليه من استخدام اللغة في التأثير اللاشعوري في الإنسان، ذلك التأثير الذي يشبه السحر وما هو بسحر، فقد سحر العرب مؤمنهم وكافرهم على حد سواء، ولم يكونوا في بداية الأمر يعرفون سبباً لذلك».. اهـ[٣].

(١) ارجع إلى شريط (صيام قلب) للدكتور خالد الجبير، وفيه قوله: «آية كنت أقرؤها وأسمعها منذ أربعين سنة ولم أفهمها إلا اليوم».

(٢) أحد رواد البرمجة اللغوية العصبية.

(٣) آفاق بلا حدود: ص ٢٠١.

وهنا دعوة أوجهها إلى كل من اشتغل بهذا العلم بحثاً عن السعادة والقوة والنجاح أن يبحث عنها في القرآن، وأن يركز جهوده وفكره لربط الناس بالقرآن العظيم الذي ما أنزل إلا من أجل تحقيق القوة والسعادة للناس، وتحريرهم من عبودية الشهوات والأهواء، وجميع نقاط ضعفهم لينطلقوا في درجات القوة والنجاح في أرقى أشكالها، وأعلى صورها.

وليس مقصود البحث بسط الكلام في هذه المسألة وإنما تعرضت لها لعلاقتها بتدبر القرآن، ولأنها من أبرز المظاهر التي تؤكد أهمية معرفة مفاتيح تدبر القرآن والانتفاع به في الحياة[١].

- **المسألة السادسة: لِمَ لا تكون الدعوة بالقرآن**

لو تأملنا في حوار النبي ﷺ مع المدعوين، وماذا كان يقول لهم، لوجدنا أنه في كثير من المواقف يكتفي بتلاوة آيات من القرآن الكريم، ويحدث هذا أثراً عظيماً في النفوس، لقد كانت قراءة النبي ﷺ لآية من القرآن تشد الكافر والمنافق والمشرك وتبين له الحق، ولا يقل أحد إن هذا خاص بالنبي ﷺ بل هو ممكن لكل من سلك سبيله واقتدى به، وهو بهذا مستجيب لربه سبحانه وتعالى الذي أمره بذلك إذ يقول: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]، وبقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقوله: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢].

فلم لا يكون حوارنا، وتكون خطبنا، ومواعظنا تنطلق وتدور في فلك

(١) قد خصصت لبيان هذه القضية رسالة بعنوان: (البرمجة اللغوية العصبية أو التزكية العلمية القلبية أي الطريقين اقرب للنجاح)، أسأل الله أن ييسر كتابتها.

آيات القرآن الكريم، نبدأ بالاستشهاد بها في كل ما نريد إيصاله إلى المدعوين من تربية وتعليم.

إن البعض قد يعتذر قائلا: إن ما تدعو إليه صعب، ونحن نشاهد الناس يتأثرون بالقصص والأمثلة والنماذج الحية أكثر من تأثرهم بالقرآن.

فأقول: إن هذا هو أساس المشكلة التي نحاول علاجها في هذا البحث، وهو لماذا نتأثر بالقصص والحكايات، ولا نتأثر بالآيات؟

إن بعض الدعاة ممن يكثر القصص يتعلل بقوله: إن الناس لا يطيقون أو لا يفهمون ذلك، فنحن نقرب لهم الأمر بالقصص والحكايات والأدبيات التي تؤثر في نفوسهم، وهذا غير صحيح، فالعيب في الداعية نفسه وليس في الطريقة أو المنهج، وليس العيب في الناس، بل إنه متى استشعر الداعية عظمة القرآن وكان معايشا له متعمقا فيه فإن أثر قراءته لبضع آيات لا يقارن بأثر قصة أو طرفة أو مشهد من هنا وهناك وجرب تجد[(١)].

إنها كلمة أوجهها إلى المصلحين، والمربين، والقائمين على مكاتب الدعوة، وأقسام القوة المعنوية في القطاعات العسكرية والأمنية، وحلقات تحفيظ القرآن بأن يركزوا جهودهم على هذا الأمر بألوان وأساليب متنوعة فيه تقريب وتدريب وتعليم فردي يوصل المتلقي إلى هدف إتقان هذه (**المفاتيح العشرة**) حسب الاستطاعة، ففي هذا اقتداء بالنبي ﷺ وتوفير للأوقات والجهود والأموال التي تصرف على الدعوة والإصلاح، وفي هذا علاج قوي وسريع المفعول وطويل الأمد.

---

(١) إن البعض يناقش في هذه المسألة مع شدة وضوحها وقوة ظهورها، ومن لا يزال في ريب مما أقول فليقرأ كتاب: بالقرآن أسلم هؤلاء - تأليف: عبد العزيز سيد هاشم - نشر: دار القلم، وليقرأ سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه بتمعن وعمق ليتبين له الحق، إننا لما فرطنا في تطبيق هذه المفاتيح حيل بيننا وبين القرآن فصرنا لا نتأثر به ولا نستطيع أن نؤثر به فسلكنا طريق القصة والقصيدة والفكاهة والمشهد.. الخ مما نسميه وسائل الدعوة.

إن أي وسيلة دعوية يجب أن تربط مباشرة بالقرآن فإن كانت تحقق فهم القرآن والتأثر به حسن فعلها وإلا فتركها أولى وأحرى.

إن انشغال الناس بمؤلفات الناس وطلبهم العافية والشفاء النفسي والقوة المعنوية منها يشبه أسلوبهم في التغذية البدنية الجسدية؛ حيث اقتصروا على أطعمة ترضي الذوق والمزاج بينما هي تهدم الجسد وتهلكه.

- **المسألة السابعة: القرآن يحيي القلوب كما يحيي الماء الأرض**

قال الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]، وقد جاءت هذه الآية بعد قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]، وفي هذا إشارة إلى أن حياة القلوب تكون بذكر الله تعالى وما نزل من الحق وهو القرآن مثل ما أن حياة الأرض الميتة يكون بالماء، قال مالك بن دينار رحمه الله: «**ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض**».. اهـ[١]، وهذا أمر مشاهد ظاهر للعيان، ومن المشاهدات في هذا الأمر ما نشاهده من زكاة القلوب ورقتها في رمضان حين يتوالى عليها سماع القرآن وقراءته ويكثر ذلك، ثم إنك ترى هذه الحياة التي حصلت للقلوب في رمضان تبدأ بالتلاشي بالتدريج بعد رمضان حين تنقطع عن القرآن الكريم.

فمن أراد حياة قلبه فعليه بسقيه بربيع القلوب القرآن وبكميات وكيفيات مناسبة لإحداث الحياة كما سيأتي تفصيله في ثنايا هذا البحث.

---

(١) إحياء علوم الدين ج ١/ ص ٢٨٥.

- **المسألة الثامنة: وقفة مع آية**

وهي قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إن تزكية الإنسان وإصلاحه له جهتان:

الأولى: العلم والتعليم، أو الفكر، أوالمنطق، أوالإقناع، أوالمعتقدات.... الخ من المصطلحات في هذا المعنى.

الثانية: العمل، أو التربية، أو التدريب، أو السلوك... الخ من المصطلحات.

والقرآن الكريم يحقق الأمرين معا بأكمل وجه وأحسن صورة لمن آمن به وسلك الأسباب الموصلة لذلك.

إن القرآن الكريم بحق هو كتاب التربية والتعليم الذي يغني عما سواه، ولا يغني عنه غيره، ولقد أجاد ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة في بيان هاتين الجهتين والعلاقة بينهما، فمن المعلوم المقرر أن سلوك الإنسان وتصرفاته لا تصدر بعفوية أو عشوائية، وإنما تقوم على فكر ومعتقد، وتراكمات علمية بنيت على مر الأيام، وعلى خبرات تم تخزينها مع تكرار المواقف والتصرفات منذ الطفولة إلى أن صار رجلاً، فمتى أردت الطريق المختصر لتغيير شخص فعليك بتغيير معتقداته وأفكاره، دون أن تتعب نفسك بملاحقة مفردات سلوكياته وتصرفاته، وهذا ما يحققه القرآن الكريم لمن أخذ بمفاتحه.

❖ الهدف الثاني: قراءة القرآن بقصد العمل به

• المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يا حملة القرآن أو يا حملة العلم؛ اعملوا به فإنما العالم من عمل بما علم، ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عَمَلُهم عِلْمهم، وتخالف سريرتهُم علانيتَهم، يجلسون حلقاً يباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله تعالى..» اهـ[1].

وعن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «أمر الناس أن يعملوا بالقرآن فاتخذوا تلاوته عملا»[2]، وقال الحسن بن علي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فليست بقراءة»[3]، وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أولى الناس بهذا القرآن من اتبعه وإن لم يكن قرأه[4]».. اهـ[5]، وعن أبي عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ عن عثمان وابن مسعود وأبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: أن رسول الله ﷺ كان يقرؤهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا»[6]، ويقول الآجُرِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يتصفح القرآن ليؤدب به نفسه همته متى أكون من المتقين؟ متى أكون من الخاشعين؟ متى أكون من الصابرين؟ متى أزهد في الدنيا؟ متى أنهى نفسي عن الهوى؟».. اهـ[7]، وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ج ١/ ص ٢٠، كنز العمال ج ١٠/ ص ١٢٠.
(٢) تفسير السمعاني ج ٤/ ص ١١٩، مدارج السالكين: ١-٤٥١، تلبيس إبليس: ١٠٩.
(٣) كنز العمال: ١-٢٧٧٦.
(٤) أي أنه لا يقدر على القراءة، أما من قدر على قراءة القرآن فلا يتصور أنه لا يقرؤه.
(٥) قاعدة في فضائل القرآن لشيخ الاسلام ابن تيمية: ٥٩.
(٦) تفسير القرطبي: ١-٣٩، تفسير الطبري: ١-٦٠.
(٧) أخلاق حملة القرآن: ٤٠.

«إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله..، وما تدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس! والله ما هؤلاء بالقراء، ولا بالعلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كان القراء مثل هذا؟ لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء».. اهـ[1]، وسئلت عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١٤]،ما كان خلق رسول الله؟ فقالت: «كان خلقه القرآن يغضب لغضبه ويرضى لرضاه».. اهـ[2]، جاء رجل بابنه إلى أبي الدرداء رضي الله عنه فقال: إن ابني هذا قد جمع القرآن، فقال: اللهم غَفْراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع ».. اهـ[3]، وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً».. اهـ[4].

- **المسألة الثانية : مفهوم تطبيق هذا المقصد وكيفيته**

أن يقرأ القرآن بنية العمل، بنية البحث عن علم ليعمل به، فيقف عند آياته ينظر ماذا تطلب منه، هل أمر يؤمر به، أو شئ ينهى عنه، أو فضيلة يدعى للتحلي بها، أو خطر يحيق به يحذر منه ، وهكذا فإن القرآن هو الدليل العملي لتشغيل النفس وصيانتها، ينبغي أن يكون قريباً من كل مسلم يربي به نفسه

(١) سنن سعيد بن منصور: ٢ـ ٤٢٠، شعب الإيمان للبيهقي: ٢ـ ٥٤١، الزهد لابن المبارك: ١/ ٢٧٤.
(٢) صحيح مسلم: (٧٤٦)، وبهذا اللفظ أخرجه: الطبري في تفسيره: ٢٩ـ١٨، والطبراني في الأوسط: ١ـ ٣٠، والبيهقي في الشعب: ٢ـ ١٥٤، والإمام أحمد في مسنده: ٦ـ ٢١٦، وتكلم عليه ابن كثير في تفسيره: ٤/ ٤٠٣، وابن حجر في فتح الباري: ٦ـ ٥٧٥.
(٣) قاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية: ٥٩.
(٤) صحيح البخاري: (٧٢٨٢) كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ.

ويهذبها، أن تقرأ القرآن بنية وقصد من يبحث عن حل لمشكلة أو إصلاح خلل، يبحث عن تفسير لظاهرة أو علاج لمرض، أو تحليل لحالة من الحالات.

أما إذا كنا نبحث عن علاج مشكلاتنا التربوية في كتب فلان، أوعلان، أو في المجلات والصحف، أو القنوات الفضائية، فإننا بهذا قد عطلنا هذا المقصد المهم من مقاصد القرآن، إن كل تربية لا تبنى مباشرة على القرآن فهي تربية قاصرة ولو أثمرت بعض الثمار مؤقتاً استدارجاً وابتلاء، إن تربية الناشئة وتربية الشباب لابد أن تبنى مباشرة على القرآن بأساليب ووسائل مناسبة.

إن البعض منا لما تعلق بالدنيا ومكاسبها المادية ابتلي وفتن بعلوم الغرب وأطروحاتهم، وظن فيها النجاح والسعادة، والقوة الإدارية والاقتصادية، وهو يتأول لفعله هذا بشتى التأويلات، ويحتج لتصرفه بكثير من الحجج.

❖ الهدف الثالث: قراءة القرآن بقصد مناجاة الله

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن**»[(١)]، ومعنى أذن: أي استمع، وعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشد أُذُناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة إلى قينته**»[(٢)]، وعن عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سألت سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ قلت: الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شئ ينوي بقراءته وصلاته؟ قال: ينوي أنه يناجي ربه»[(٣)]، وعن البياضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ خرج على الناس وهم يصلون، وقد علت أصواتهم بالقراءة فقال: «**إن المصلي**

(١) صحيح البخاري ج ٦/ ص ٢٧٤٣ (٧١٠٥)، صحيح مسلم ج ١/ ص ٥٤٥ (٧٩٢)، سنن أبي داود ج ٢/ ص ٧٥ (١٤٧٣)، سنن النسائي (المجتبى) ج ٢/ ص ١٨٠ (١٠١٧).

(٢) سنن ابن ماجه ج ١/ ص ٤٢٥ (١٣٣٠).

(٣) تعظيم قدر الصلاة: ١-٩٢.

يناجي ربه عزوجل فلينظر ما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن»[١]، وقال قتادة رحمه الله: «ما أكلت الكراث منذ قرأت القرآن»[٢]، وقال أبو مالك رحمه الله: إن أفواهكم طرق من طرق الله تعالى فنظفوها ما استطعتم قال: فما أكلت البصل منذ قرأت القرآن»[٣].

فالمسلم عند قراءته للقرآن عليه أن يستحضر هذا المقصد العظيم لكي يشعر بلذة القراءة حينما يستحضر أن الله يراه ويستمع لقراءته وهو يقرأ ويمدحه ويثني عليه ويباهي به ملائكته المقربين، إن أحدنا لو ظن أن رئيسه، أو والده أو أميراً ينظر إلى قراءته ويمدحه لاجتهد في ذلك، فكيف والذي يستمع إليه ويثني عليه ملك الملوك الذي له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

فالقارئ يستشعر أن الله يخاطبه مباشرة، وأن الله تعالى يسمع قراءته، فإذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بآية فيه وعيد استعاذ، وإذا مر بسؤال سأل.

هذا ما أعنيه بالمناجاة... عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلي بها في ركعة[٤] فمضى، فقلت يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسلاً، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ»[٥].

---

(١) مسند الإمام أحمد: ٤-٣٤٤، وصححه أحمد شاكر.
(٢) فضائل أبي عبيد ٥٥، التذكار ١٠٨.
(٣) فضائل القرآن لأبي عبيد ٥٥، الدر المنثور ج١/ ص٢٧٨، تفسير القرطبي ج١/ ص٢٧، وانظر: سنن ابن ماجه ج١/ ص١٠٦.
(٤) قوله: «يصلي بها في ركعة» أراد بالركعة الصلاة كاملة والمعنى: يصلي بها في تسليمة.
(٥) صحيح مسلم ج١/ ص٥٣٦ (٧٧٢)، سنن النسائي (المجتبى) ج٣/ ص٢٢٥ (١٦٦٤).

هكذا تكون المناجاة بالقرآن، إنها قراءة حية يعي فيها العبد ماذا يقرأ؟ ولماذا يقرأ؟ ومن يخاطب بقراءته؟ وماذا يحتاج منه؟ وما يجب له نحوه من التعظيم والتقديس.

تذكر دائماً إذا مررت بصفة من صفات النجاح والسعادة أن تسأل الله تعالى إياها، وإذا مررت بصفة من صفات الشقاء والفشل والنكد والضيق أن تستعيذ بالله من شرها.

ثم إن تربية النفس على هذا المقصد يقوي فيها مراقبة الله تعالى في حال النشاط وهي مقبلة فيكون حاجزاً لها عند الفتور والإدبار.

قال ابن القيم رحمه الله: «إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله».. اهـ[(١)].

*** فائدة:**

تذكَّر أنه يجتمع لك في المناجاة بالقرآن خمس معان مجموعة في قولك: (حرس مع) الحاء: أن الله **يحبك** حين تقرأ القرآن ، الراء: **يراك**، السين: **يسمعك**، الميم: **يمدحك**، العين: **يعطيك**، فاستحضر هذه المعاني حين القراءة ولا تدعها تفوت عليك.

❖ الهدف الرابع: قراءة القرآن بقصد الثواب

ورد في ترتيب الثواب على قراءة القرآن نصوص كثيرة اذكر طرفاً منها للتذكير بهذا الأمر المهم: فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[(٢)]، وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ألا إني**

(١) الفوائد: ١.
(٢) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

تارك فيكم ثقلين؛ أحدهما: كتاب الله عزوجل، هو حبل الله، ومن اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة»(١)، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض»**(٢)، وعن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال: **«كان النبي ﷺ يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدَّمه في اللحد»**(٣)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**(٤)، وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**(٥)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعلموا القرآن فاقرؤه وأقرئوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك»**(٦)، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»**(٧)، وعن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: **«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي**

---

(١) صحيح مسلم ج ٤/ ص١٨٧٣ رقم (٢٤٠٨).

(٢) سنن الترمذي: ٥ - ٦٦٣ رقم (٣٧٨٨)، وقال حديث حسن غريب، وصححه الألباني.

(٣) صحيح البخاري: ١ـ٤٥٠، سنن أبي داود: ٣ـ١٩٦ (٣١٣٨)، سنن الترمذي: ٣ـ ٣٥٤ (١٠٣٦) وقال حسن صحيح، صحيح ابن حبان: ٧ـ٤٧١، سنن النسائي ٤ـ٦٢ (١٩٥٥)، سنن ابن ماجه ١ـ٤٨٥ (١٥١٤)، وصححه الألباني.

(٤) صحيح البخاري ٤ـ١٨٨٢ (٤٦٥٣)، وصحيح مسلم: ١ـ٥٤٩ (٧٩٨)، وسنن أبي داود: ٢/ ٧٠ (١٤٥٤)، وسنن الترمذي: ٥ـ١٧١ (٢٩٠٤)، وسنن ابن ماجه: ٢ـ١٢٤٢ (٣٧٧٩).

(٥) صحيح البخاري: ٤ـ١٩١٩ (٤٧٣٩)، سنن أبي داود: ٢ـ٧٠ (١٤٥٢)، سنن الترمذي: ٥ـ١٧٣ (٢٩٠٧)، سنن ابن ماجه: ١ـ٧٦ (٢١١)، سنن الدارمي: ٢ـ٥٢٨ (٣٣٣٧)، مسند الإمام أحمد: ١ـ٥٧ (٤٠٥).

(٦) سنن الترمذي٥ـ١٥٦ (٢٨٧٦) وقال حديث حسن، وضعفه الألباني، صحيح ابن حبان: ٥ـ٤٩٩ (٢١٢٦) قال شعيب الأرناؤط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد.

(٧) صحيح مسلم: ١ـ٥٥٢ (٨٠٤)، وبنحوه في سنن الدارمي: ٢ـ٥٢٢ (٣٣١١)، مسندالأمام أحمد ٥ـ٢٤٩ (٢٢٢٠٠)، صحيح ابن حبان: ١ـ٣٢٢ (١١٦)، المستدرك: ١ـ٧٤٧ (٢٠٥٧)، سنن البيهقي: ٢ـ٣٩٥ (٣٨٦٢).

رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان»[١]، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «**القرآن شافع مشفع، وماحلٌ مُصَدَّق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار**»[٢]، وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يأتي القرآن وأهله الذين يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران**»[٣]، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب**»[٤]، وعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**»[٥]، وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن**[٦] **كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر**»[٧]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص١٧٤ (٦٦٢٦)، وصححه أحمد شاكر، مستدرك الحاكم: ١ـ٧٤٠ وقال صحيح على شرط مسلم، مصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ص١٢٩ (٣٠٠٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني: ١ـ٤٨٣ (٩٦٩).

(٢) صحيح ابن حبان: ١ـ٣٣١ (١٢٤)، مصنف عبد الرزاق: ٣ـ٣٧٢ (٦٠١٠) شعب الإيمان للبيهقي: ٢ـ٣٥١ (٢٠١٠).

(٣) صحيح مسلم: ١ـ٥٥٤ (٨٠٥)، سنن الترمذي: ٥ـ١٦٠ (٢٨٨٣).

(٤) سنن الترمذي: ٥ـ١٧٧ (٢٩١٣) وقال حسن صحيح، المستدرك: ١ـ٧٤١ (٢٠٣٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن الدارمي: ٢ـ٥٢١ (٣٣٠٦)، المعجم الكبير للطبراني: ١٢ـ١٠٩ (١٢٦١٩)، مسند الإمام أحمد: ١ـ٢٢٣ (١٩٤٧).

(٥) صحيح مسلم ج١/ ص٥٥٩ (٨١٧)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٧٩ (٢١٨).

(٦) يعني أنه أمي لا يقدر على القراءة، وهو حريص على قراءة القرآن بدليل وصفه بالإيمان، فلا يتصور أبدا مؤمن يقدر على قراءة القرآن ويهجر قراءته.

(٧) صحيح البخاري ج٥/ ص٢٠٧٠ (٥١١١)، صحيح مسلم ج١/ ص٥٤٩ (٧٩٧)، سنن أبي داود ج/ ٤ص٢٥٩ (٤٨٢٩)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٧٧ (٢١٤)، سنن الترمذي ج٥/ ص١٥٠ (٢٨٦٥)، سنن النسائي ج٨/ ص١٢٤ (٥٠٣٨).

قال رسول الله ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[(١)]، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ـ مرفوعاً ـ «**من سره أن يحب الله ورسوله فليقرأ في المصحف**»[(٢)]، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي له لأحبهم الله ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس».. اهـ[(٣)]، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن هذا القرآن مأدبة الله فخذوا منه ما استطعتم فإني لا أعلم شيئا أَصْفرَ من خير من بيت ليس فيه من كتاب الله شئ، وإن القلب الذي ليس فيه من كتاب الله شئ خرب كخراب البيت الذي لا ساكن فيه»[(٤)]، وقال أيضاً رضي الله عنه: «إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره»[(٥)]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «البيت الذي يتلى فيه كتاب الله كثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين، والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة»[(٦)]، والنصوص في هذا الباب كثيرة وإنما قصدت ألا يخلو هذا البحث من طرف منها ليكون ترسيخا لهذا الهدف من أهداف قراءة القرآن، ومن أراد التوسع فعليه بكتب السنة يقطف منها ما لذ وطاب من الكلام المستطاب؛ فما ذكرته هنا غيض من فيض وقليل من كثير والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) سنن أبي داود: ج٢/ ص٧١ (١٤٥٥)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٨٢ (٢٢٥)، سنن الترمذي: ج٥/ ص ١٩٥ (٢٩٤٥).

(٢) الترغيب لابن شاهين: ق ـ١ـ ٢٨٨، الكامل لابن عدي: ٢ـ ١١١، وإسناده حسن كما قال الألباني في الصحيحة ٥ـ ٤٥٢.

(٣) تفسير القرطبي ج١/ ص ٢٠ . .

(٤) سنن الدارمي رقم ٣١٧٣.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ص١٢٦ (٣٠٠١١)، ج٧/ ص١٠٦ (٣٤٥٥١)، مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص١٧٧ (٦٦٥٥).

(٦) الزهد لابن المبارك ج١/ ص٢٧٣ (٧٩٠).

❖ **الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به**

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤].

فالقرآن شفاء للقلوب من أمراض الشبهات والشهوات والوساوس بأنواعها كلها القهري وغيره(١)، وشفاء للأبدان من الأسقام، فمتى استحضر العبد هذا المقصد فإنه يحصل له الشفاءان: الشفاء العلمي المعنوي النفسي، والشفاء المادي البدني بإذن الله تعالى، عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير الدواء القرآن**»(٢)، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها، أو ترقيها، فقال: «**عالجيها بكتاب الله**»(٣).

والشفاء بالقرآن يحصل بأمرين: **الأول:** القيام به، وخاصة في جوف الليل الآخر، مع استحضار نية الشفاء، **والثاني:** الرقية به(٤)، فالريق الناتج من تلاوة آيات القرآن الكريم له أثر عظيم في القوة والنشاط، والصحة والعافية لا يرقى إليه أي خلطة من خلطات الأعشاب أو مركب من مركبات الصيادلة، ولا أظن

(١) إن تطبيق مفاتح تدبر القرآن من أقوى الأدوية في قطع الوساوس المزعجة والتي تحدث القلق أو الاكتئاب، وقد انتفع به كثير من الناس هدأت نفوسهم واطمأنت قلوبهم ونزلت عليهم السكينة وحصل لهم السلام النفسي بكل معانيه.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤ ـ ٩٣١.

(٣) صحيح ابن حبان ج١٣/ ص٤٦٤ (٦٠٩٨)، موارد الظمآن ج١/ ص٣٤٣ (١٤١٩).

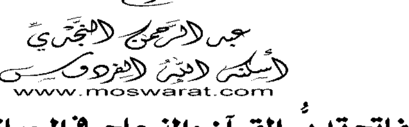
(٤) والمسلم يوقن بهذا الأثر للقرآن الكريم، وهو أمر مشاهد محسوس، وانتفاع المسلمين به متواتر على مر العصور، ولسنا بحاجة لإثبات ذلك بالتجربة بل هو يقين علمي خبري، لكن من أراد زيادة يقين فعليه بشريط: أسباب منسية، للدكتور الجبير.

مسلماً ينكر أثر النفث بالآيات في الشفاء والعلاج، ولكن ليس من أي أحد، وأيضاً هو ممكن لكل أحد، ممن يأخذ بالأسباب.

إننا ينبغي أن نتعامل مع القرآن مباشرة فهو ميسر لكل من صدق في التعامل معه وجَدَّ في القيام به، أمَّا أن نجعل بيننا وبين القرآن وسطاء ونهمل التعامل المباشر مع القرآن فهذا غاية الحرمان، تجد البعض حينما يصاب بمصيبة أو ينزل به مرض يجوب الآفاق ويطوف البلاد بين القراء والمعالجين؛ وما علم أن الأمر أقرب من ذلك وأيسر، فالله سبحانه وتعالى حينما يبتلينا بالشدائد والمصائب يريد منا أن نتضرع وأن نستكين ونتذلل بين يديه سبحانه كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٢]،والقيام الطويل بالقرآن هو من أهم صور التذلل لله تعالى والتضرع بين يديه كما يحصل في صلاة الكسوف وغيرها، فالقيام بالقرآن من أقوى أسباب الشفاء والعافية..

وليس هذا موضع بسط هذه المسألة، وإنما المقصود التذكير بأن يستحضر قارئ القرآن هذا الأمر العظيم حين قراءته ليحصل على أعلى درجات التأثير والنفع، ومن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتاب الطب النبوي لابن القيم فقد فصل وأجاد الحديث عن هذه المسألة وفيه كلام نفيس يحسن الرجوع إليه.

* * *



المفتاح الثالث : القيــام بالقــرآن

• إن هذا المفتاح من أهم مفاتح تدبر القرآن، وأعظمها شأناً، وقد ورد عدد من النصوص تؤكد أهميته، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ① قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ④ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥]، وقول الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين رجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار**»[1]، **فانظر إلى قوله**: (ينفقه) مع قوله (يقوم به) فيؤخذ منه أن من آتاه الله القرآن ولم يقم به أي لم يقرأه في صلاة فهو مثل من آتاه الله مالاً ولم ينفقه، ويؤكد هذا الحديث الآتي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تعلموا القرآن فاقرؤوه وأقرؤوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان، ومثل من تعلمه فرقد وهو في جوفه كمثل جراب أوكي على مسك**»[2] فدل هذا الحديث على أن من آتاه الله القرآن فرقد ولم يقم به فهو مثل من اشترى طيباً وتركه مغلقاً ولم يستخدمه، ويبين الحديث التالي الهدف من القيام بالقرآن، وسبب هذا الفرق

---

(١) صحيح البخاري ج١/ ص٣٩(٧٣)، ج٤/ ص١٩١٩ (٤٧٣٧)، ج٤/ ص١٩١٩(٤٧٣٨)، صحيح مسلم ج١/ ص٥٥٩ (٨١٥) ، ج١/ ص٥٥٩ (٨١٦)، صحيح ابن حبان ج١/ ص٢٩٢(٩٠)، سنن النسائي الكبرى ج٥/ ص٢٧ (٨٠٧٢)، سنن ابن ماجه ج٢/ ص١٤٠٧(٤٢٠٨)، سنن الترمذي ج٤/ ص٣٣٠ (١٩٣٦).

(٢) سنن الترمذي ٥ ـ ١٥٦ (٢٨٧٦) وقال حديث حسن، وضعفه الألباني، صحيح ابن حبان: ٥ ـ ٤٩٩ (٢١٢٦) قال شعيب الأرناؤط: رجاله ثقات رجال الصحيح غير عطاء مولى أبي أحمد.

الكبير بين من يقوم به، ومن لا يقوم به، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ أنه قال: « **إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره وإن لم يقم به نسيه**»[١] فهذا هو بيت القصيد وهو حجر الزاوية في تدبر القرآن والانتفاع به؛ إنه تذكر آيات القرآن الكريم، وكونها حاضرة في القلب في كل آن، وخاصة في المواقف الصعبة في الحياة، مواقف الشدة والذهول، المواقف التي يفتن فيها المرء ويمتحن ويختبر، فمن كان يقوم به آناء الليل، وآناء النهار فتجد إجابته حاضرة وسريعة وقوية، تجده وقّافاً عند كتاب الله تعالى، تجده آمناً مطمئناً في جميع المواقف تجده قوياً متماسكاً حتى في أصعب الظروف، وأما من كان مفرطاً في استخدام هذا المفتاح فما أسرع ما يسقط ويهوي، ويدل لهذا المعنى قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة : ١٥٣]، فالصبر هو ثمرة العلم، والعلم وسيلته القراءة بتدبر، وهو حاصل لمن قرأ القرآن في صلاة، لذلك قرن الله تعالى بينهما في أكثر من موضع، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ويطيل فيها قراءة القرآن كما في صلاة الكسوف، فمن يتربى على هذا المفتاح - وخاصة من الصغر - يسهل عليه الانتفاع به في الحياة، أما من لم يترب عليه فإنه تضيق به الحياة في حال الشدة، وتضيع عليه الحياة حال الرخاء.

إن اجتماع القرآن مع الصلاة يمكن أن يشبه باجتماع الأكسجين مع الهيدروجين حيث ينتج من تركيبهما الماء الذي به حياة الأبدان؛ فكذلك اجتماع القرآن مع الصلاة ينتج عنه ماء حياة القلب وصحته وقوته، ولذلك فلا تعجب من كل هذا الفضل الذي رتب على هذا العمل، عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن**

(١) صحيح مسلم ج١/ ص٥٤٤ (٧٨٩) ، سنن النسائي الكبرى ج٥/ ص٢٠(٨٠٤٣)، مسند أبي عوانة ج ٢/ ص ٤٥٦ (٣٨١١)، مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص٣٥ (٤٩٢٣).

قام بمئة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»[١]، هل تعلم أنه من تبارك إلى الناس ٩٩٥ آية ومع الفاتحة يكون المجموع ١٠٠٢ آية، فماذا لو قام بها المسلم كل ليلة، فماذا يكون؟ وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان؟ قلنا: نعم، قال: فثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم في صلاة خير له من ثلاث خلفات عظام سمان»**[٢]، وبالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد دلت نصوص على أن العبد إذا دخل في الصلاة فإنه يزداد قرباً من الله تعالى، وأنه سبحانه يقبل عليه بوجهه، من ذلك ما جاء عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: قال: «**أيها الناس إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإنه مُنَاجٍ ربه، وربه فيما بينه وبين القبلة»**[٣]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان أحدكم في صلاة فلا يبزقن أمامه فإنه مستقبل ربه»**[٤]، قال ابن جريج رَحِمَهُ اللَّهُ قلت لعطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: «أيجعل الرجل يده على أنفه أو ثوبه؟ قال: فلا، قلت من أجل أنه يناجي ربه؟ قال: نعم، وأحب ألا يخمر فاه»[٥]، قال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: «بلغنا أن الرب يقول: إلى أين تلتفت؟ إليَّ يا ابن آدم؛ إني خير لك ممن تلتفت إليه»[٦]، ولو لم يكن في القراءة داخل الصلاة إلا الانقطاع عن الشواغل والملهيات لكفى، فإن المصلي إذا دخل في الصلاة حرم عليه الكلام والالتفات والحركة من غير حاجة، فهذا أعون على التدبر والتفكر وأجمع للقلب، وأيضاً فإن من حوله لا يقاطعه ولا يشغله ما دام في صلاته.

(١) صحيح ابن حبان ج٦/ ص٣١٠، صحيح ابن خزيمة ج٢/ ص١٨١ (١١٤٤)، موارد الظمآن ج/ ١ ص١٧٢ (٦٦٢)، سنن أبي داود ج٢/ ص٥٧ (١٣٩٨).

(٢) صحيح مسلم ج١/ ص٥٥٢ (٨٠٢)، سنن ابن ماجه ج٢/ ص١٢٤٣ (٣٧٨٢)، سنن الدارمي ج/ ٢ ص٥٢٣ (٣٣١٤)، مسند أبي عوانة ج٢/ ص٤٤٧ (٣٧٧٧)، مصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ص١٣٢ (٣٠٠٧٣)، مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص٣٩٦ (٩١٤١).

(٣) صحيح البخاري ج١/ ص٤٠٦ (١١٥٦)، سنن النسائي الكبرى ج١/ ص١٩١ (٥٢٨)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٢٥١ (٧٦٣)، مسند أبي عوانة ج١/ ص٣٣٦ (١١٩٨)، مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص١٤٣ (٧٤٦١).

(٤) صحيح مسلم ج١/ ص٣٩٠ (٥٥١)، سنن الدارمي ج١/ ص٣٧٨ (١٣٩٧)، المعجم الكبير ج٨/ ص٣١٣ (٨١٦٨)، مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص٤١٥ (٩٣٥٥).

(٥) تعظيم قدر الصلاة: ١ ـ ١٩٠.

(٦) تعظيم قدر الصلاة: ١ ـ ١٩٠.

المفتاح الرابع: أن تكون القراءة في ليل

● إن الليل ـ وخاصة وقت السحر ـ من أفضل الأوقات للتذكر، فالذاكرة تكون في أعلى مستوى بسبب الهدوء والصفاء، وبسبب بركة الوقت حيث النزول الإلهي، وفتح أبواب السماء، فأي أمر تريد تثبيته في الذاكرة بحيث تتذكره خلال النهار فقم بمراجعته في هذا الوقت، وقد استفاد من هذا أهل الدنيا من أهل السياسة والاقتصاد وخاصة الغرب؛ حيث ذكر عدد منهم أنه يقوم بمراجعة لوائحة، أو حساباته، أو معاملاته وأوراقه في مثل هذا الوقت وأنه يوفق للصواب في قراراته، فأهل القرآن أهل الآخرة أولى باغتنام هذه الفرصة لتثبيت إيمانهم وعلمهم، وإن من الحقائق التاريخية الجديرة بالدراسة والتأمل تلك العلاقة بين قوة المسلمين وبين قيامهم بالقرآن في الليل، فمن خلال تأمل سريع تجد أن انتصارات المسلمين وجدت حينما كانت جنوده توصف بأنهم: (رهبان بالليل فرسان في النهار)، ومما يدل على كون القراءة في ليل أحد مفاتح التدبر قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ٦]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ «هو أجدر أن يفقه القرآن»، ويقول ابن حجر ـ عن مدارسة جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان ـ: «المقصود من التلاوة الحضور والفهم، لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية».. اهـ[1]، وقال الله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال الله تعالى:

(١) فتح الباري ج ٩/ ص٤٥ .

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال الحسن ابن علي - رضي الله عنهما - : «إن من كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار».. اهـ[١]، والشاهد قوله: «**يتدبرونها بالليل**»، وقال ابن عمر - رضي الله عنهما - : «أول ما ينقص من العبادة: التهجد بالليل، ورفع الصوت فيها بالقراءة»[٢]، وقال الشيخ عطيه سالم رحمه الله - حاكياً عن شيخه الشنقيطي رحمه الله -: «وقد سمعت الشيخ يقول: لا يثبت القرآن في الصدر، ولا يسهل حفظه، وييسر فهمه إلا القيام به في جوف الليل».. اهـ[٣]، وقال السري السقطي رحمه الله: «رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل»[٤]، قال النووي رحمه الله: «ينبغي للمرء أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر، وفي صلاة الليل أكثر، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة، وإنما رجحت صلاة اليل وقراءته لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأصون عن الرياء وغيره من المحبطات، مع ما جاء به الشرع من إيجاد الخيرات في الليل، فإن الإسراء بالرسول ﷺ كان ليلاً».. اهـ[٥]، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه أو عن شئ منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**».. اهـ[٦]، وفي هذا دلالة واضحة على

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ج١/ ص ٢٩.
(٢) خلق أفعال العباد ج١/ ص ١١١.
(٣) مقدمة أضواء البيان: ٤.
(٤) رهبان الليل للعفاني ١-٥٢٦.
(٥) التبيان في آداب حملة القرآن ج١/ ص ٣٤.
(٦) صحيح مسلم ج١/ ص٥١٥(٧٤٧)، صحيح ابن حبان ج٦/ ص٣٦٩ (٢٦٤٣)، صحيح ابن خزيمة ج٢/ ص ١٩٥ (١١٧١)، سنن النسائي الكبرى ج١/ ص٤٥٨ (١٤٦٤)، سنن أبي داود ج٢/ ص٣٤(١٣١٣)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٦ (١٣٤٣)، سنن الترمذي ج٢/ ص٤٧٤(٥٨١).

أن الأصل في القيام بالحزب من القرآن هو الليل، وفي حالة العذر فإنه يعطى الثواب نفسه إذا قضاه في النهار، قال أبو داود الجفري رحمه الله: دخلت على كرز بن وبرة رحمه الله في بيته، فإذا هو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق وإن ستري لمسبل ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة، وما هو إلا ذنب أحدثته»[١].

إن القراءة للقلب مثل السقي للنبات، فالسقي لا يكون في حر الشمس فإن هذا يضعف أثره خاصة مع قلة الماء فإنه يتبخر، وكذلك قراءة القرآن إذا كانت قليلة، وكانت في النهار وقت الضجيج والمشغلات، فإن ما يرد على القلب من المعاني يتبخر ولا يؤثر فيه، وهذا يجيب على تساؤل البعض إذ يقول: إني أكثر قراءة القرآن لكن لا أتأثر به؟ فلما سألته: متى تقرأ القرآن؟ تبين أن كل قراءته في النهار، وفي وقت الضجيج، وبشئ من المكابدة لحصول التركيز فكيف سيتأثر؟

إن القراءة في الليل يحصل معها الصفاء والهدوء حيث لا أصوات تشغل الأذن ولا صور تشغل العين فيحصل التركيز التام وهو يؤدي إلى قوة التدبّر والتفكر، وقوة الحفظ والرسوخ لألفاظ القرآن ومعانيه.

* * *

(١) حلية الأولياء: ج٥ ـ ص٧٩.

المفتاح الخامس: التكرار الأسبوعي للقرآن

- **المسألة الأولى: أهمية تحزيب القرآن والمحافظة عليه**

القرآن أنزل ليعمل به، ووسيلة العمل به العلم به أولاً، وهو يحصل بقراءته وتدبره، وكلما تقاربت أوقات القراءة، وكلما كثر التكرار كان أقوى في رسوخ معاني القرآن الكريم، ومن أجل ذلك كان السلف يواظبون على قراءة القرآن، ويحرصون على كثرة تلاوته وتكرارها، ومن ظن أنهم يقرأونه من أجل ثواب القراءة فحسب فقد قصر فهمه في هذا الباب، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل**»[(١)]، وقال عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن»[(٢)]، وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: «استأذن رجل على رسول الله وهو بين مكة والمدينة فقال: قد فاتتني الليلة حزبي من القرآن وإني لا أوثر عليه شيئاً»[(٣)]، وعن خيثمة رحمه الله قال: «انتهيت إليه - يعني: عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - وهو يقرأ في المصحف فقال: هذا حزبي الذي أريد أن أقوم به الليلة"[(٤)]، وعن القاسم رحمه الله قال: «كنا نأتي عائشة رضي الله عنها قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم[(٥)]، فإذا هي تصلي، فقالت

---

(١) صحيح مسلم ج١/ ص٥١٥ (٧٤٧)، صحيح ابن حبان ج٦/ ص٣٦٩ (٢٦٤٣)، صحيح ابن خزيمة ج٢/ ص ١٩٥ (١١٧١)، سنن النسائي الكبرى ج١/ ص٤٥٨ (١٤٦٤)، سنن أبي داود ج٢/ ص٣٤(١٣١٣)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٦ (١٣٤٣)، سنن الترمذي ج٢/ ص٤٧٤ (٥٨١).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد ٩٥.

(٣) كنز العمال ج٢/ ص١٤١(٤١٣٧).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص٢٤٠(٨٥٥٩).

(٥) يفهم من السياق أن مجيئهم هذه المرة بعد طلوع الشمس، أو أن صواب العبارة (بعد صلاة الفجر).

نمت عن حزبي في هذه الليلة فلم أكن لأدعه»[١]، وعن أبي بكر بن عمرو بن حزم رحمه الله: أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه بالهاجرة فحجبه طويلاً، ثم أذن له فقال: «إني كنت نمت عن حزبي فكنت أقضيه»[٢]، وعن ابن الهاد رحمه الله قال: سألني نافع بن جبير بن مطعم رحمه الله فقال لي: **في كم تقرأ القرآن؟ فقلت: ما أحزبه، فقال لي نافع: لا تقل ما أحزبه، فإن رسول الله ﷺ قال: قرأت جزءاً من القرآن**»[٣]، فهذه النصوص وغيرها مما نقل عن السلف في هذه القضية المهمة تؤكد على ضرورة تحزيب القرآن والمحافظة على ما يتم تحزيبه، وأن يكون له الأولوية الأولى في كل وقت.

ينبغي أن يوجد الحرص التام عليه وأن يقدم على كل عمل، وألا يهدأ لك بال حتى تقوم به، حتى تؤديه في وقته، أو تقضيه إن فات أداؤه في وقته، إن العمل الذي لا تقضيه إذا فات يعني تساوي الفعل والترك عندك، وهذا دليل على عدم أهميته لديك، متى وجد هذا الحرص فهو مفتاح النجاح في الحياة، إنه مفتاحٌ لا نحتاج إلى إثبات نجاحه بالتجربة، فهو ثابت بالخبر عن الله تعالى وعن رسوله ، كما قال الله تعالى: **﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾** [طه: ١٢٣]، وهل يعقل أو يتصور أن يوجد اتباع دون قراءة مستمرة، دون مذاكرة لقواعده وتوجيهاته، كما سبق البيان أننا في واقع الحياة نجد أن الإداري الذي لا يحفظ اللائحة ولا يعي ما فيها هو إداري فاشل، والطالب الذي لا يذاكر دروسه كذلك، ومتى علم الله منك صدق الرغبة والحرص على هذا الغذاء فإنه يفتح لك أبوابه ويبارك لك فيه، ويمتد أثره ليشمل جميع جوانب حياتك، **لا أقول إن التجربة تشهد**

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج١/ ص٤١٦ (٤٧٨٤).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج١/ ص٤١٦.
(٣) سنن أبي داود ج٢/ ص٥٥(١٣٩٢).

لذلك، فثبات نتائج هذا العمل أقوى وأصدق من أن تخضع للتجربة، وما يوجد في حياتنا من نقص إنما هو بسبب ترك وإهمال هذا العمل اليسير على من يسره الله عليه، العظيم في نفعه وأثره الشامل في تحقيق النجاح الكامل لكل من أخذ به بدقة، وهو مجاني لا يحتاج إلى دورات ولا رسوم ولا مدرب.

إن عادات النجاح ليست سبعا ولا عشراً بل هي عادةٌ واحدة، إنها المحافظة على قراءة حزبك من القرآن، بل هي عبادة وليست عادة، من يسر الله له المحافظة عليها حصلت له كل معاني النجاح الدينية والدنيوية.

- **المسألة الثانية: كيفية تحزيب القرآن ومدة الختم**

قراءة القرآن مثل العلاج لا بد أن يحدد بزمن معين لا يزيد عليه ولا ينقص حتى يحدث أثره، مثل المضاد الحيوي إن طالت المدة ضعف أثره، وإن تقارب أكثر من المناسب أضر بالبدن، فكذلك قراءة القرآن المدة التي أقرها النبي لأمته، لمن رغب في الخير هي سبعة أيام إلى شهر، ونهى عن أقل من ثلاث، وجاءت نصوص في النهي عن هجر القرآن أكثر من أربعين يوماً.

عن أوس بن حذيفة الثقفي رضي الله عنه قال: قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف فنزلوا الأحلاف على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وأنزل رسول الله ﷺ بني مالك في قبة له فكان يأتينا كل ليلة بعد العشاء فيحدثنا قائما على رجليه حتى يراوح بين رجليه وأكثر ما يحدثنا ما لقي من قومه من قريش ويقول: ولا سواء كنا مستضعفين مستذلين فلما خرجنا إلى المدينة كانت سجال الحرب بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا فلما كان ذات ليلة أبطأ عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلت: يا رسول الله لقد أبطأت علينا الليلة قال: فإنه طرأ علي حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه قال أوس بن حذيفة سألت أصحاب رسول

الله كيف يحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل»[١]، وذكر عن عثمان رضي الله عنه أنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة ويختم ليلة الخميس، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إني لأقرأ جزئي أو قالت سبعي وأنا جالسة على فراشي أو على سريري»[٢]، وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث اقرأوه في سبع ويحافظ الرجل على حزبه»[٣]، قال النووي رحمه الله: ـ عن الختم في سبع ـ: «فعل الأكثرين من السلف»، وقال السيوطي رحمه الله: «وهذا أوسط الأمور، و أحسنها، وهو فعل الأكثر من الصحابة وغيرهم».

الأولى أن يكون تحزيب القرآن وتقسيمه على السور ـ قدر الإمكان ـ بمعنى أن تقرأ السورة في الليلة الواحدة كاملة، وأن يكون التقسيم والتوزيع متوافقاً مع نهايات السور، وهذا هو السنة، وعليه عمل الصحابة والتابعين، أما الأحزاب والأجزاء والأثمان المعروفة اليوم فلم تأت إلا متأخرة، علاوة على ما فيها من بتر للمعاني وتقطيع للسور، ومن أراد تفصيل القول في هذه المسألة فليراجع ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الجزء الثالث عشر.

- **المسألة الثالثة: كيفية تطبيق هذا المفتاح**

القيام بالقرآن كاملا في كل أسبوع يحتاج الوصول إليه إلى التدرج والتدريب شيئا فشيئا، ومن ذلك تطبيق قاعدة: (**أدومه وإن قل**)، فمن الممكن أن

---

(١) سنن أبي داود ج٢/ ص٥٥ (١٣٩٣)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٧ (١٣٤٥)، مسند أحمد بن حنبل ج٤/ ص٩ (١٦٢١١)، مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص٢٤٢ (٨٥٨٣)، المعجم الكبير ج١/ ص٢٢٠(٥٩٩)، مسند الطيالسي ج١/ ص١٥١ (١١٠٨)، المغني عن حمل الأسفار ج١/ ص٢٢٥(٨٧٥) وقال حديث حسن، فتاوى ابن تيمية ج١٣/ ص٤٠٨، التذكار ١٠٤.

(٢) مصنف ابن أبي شية ١٤٣ (٣٠١٨٢).

(٣) انظر: مجمع الزوائد ج٢/ ص٢٦٩ رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح.

تكون البداية بالمفصل يحزبه سبعة أحزاب لكل يوم من أيام الأسبوع حزب، أو من الممكن أن تكون البداية من سورة التكوير الى سورة الناس يقسمه سبعة أقسام وكل ليلة يقرأ بقسم، يكرر هذا كل أسبوع، **ثم ينظر النتيجة كيف تكون؟** وعندما يرى الأثر والفائدة فإن هذا سيدفعه إلى الزيادة، ولتكن بالتدريج، فيزيد المقدار وبنفس الطريقة يتم توزيع المقدار الجديد إلى سبعة أقسام كل قسم منها يقرأ في ليلة، بحيث يختم المقدار كل أسبوع حتى يرسخ، حتى تثبت الآيات في القلب بصورة قوية يسهل استدعاؤها في مواقف الحياة اليومية.



المفتاح السادس: أن تكون القراءة حفظاً

• المسألة الأولى: أهمية هذا المفتاح

مثل حافظ القرآن وغير الحافظ؛ مثل اثنين في سفر، الأول: زاده التمر، والثاني: زاده الدقيق، فالأول: يأكل متى شاء وهو على راحلته، والثاني: لابد له من نزول، وعجن، وإيقاد نار، وخبز، وانتظار نضج.

والعلم مثل الدواء لا يؤثر حتى يدخل الجوف، ويختلط بالدم، وما لم يكن كذلك فإن أثره مؤقت، ومثل الجهاز المزود ببطارية والجهاز الذي ليس كذلك، الأول يمكن أن يشتغل في أي مكان أما الثاني فلا بد من مصدر كهرباء.

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب**»(١)، وقال ابن تيمية رحمه الله: «أنا جنتي وبستاني في صدري أَنَّى رُحْتُ فهي معي»، وهو يريد بذلك القرآن والسنة التي في صدره تثبته وتزيده يقينا، وقال سهل بن عبدالله رحمه الله: لأحد طلابه: **أتحفظ القرآن؟ قال: لا؟ قال: واغوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن! فبم يترنم؟ فبم يتنعم؟ فبم يناجي ربه؟**، ويقول أبو عبد الله بن بشر القطان رحمه الله: "ما رأيت رجلا أحسن انتزاعا لما أراد من آي القرآن من أبي سهل بن زياد رحمه الله، وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل، وتلاوة القرآن، فلكثرة درسه صار القرآن كأنه بين عينيه ينتزع منه ما شاء من غير تعب»(٢)، وهذا المقصود من كون الحفظ أحد مفاتح التدبر لأنه متى كانت الآية محفوظة فتكون حاضرة، ويتم تنزيلها على النوازل

(١) سنن الترمذي: ٥ ـ ١٧٧ (٢٩١٣) وقال حسن صحيح، المستدرك: ١ ـ ٧٤١ (٢٠٣٧) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، سنن الدارمي: ٢ ـ ٥٢١ (٣٣٠٦)، المعجم الكبير للطبراني: ١٢ ـ ١٠٩ (١٢٦١٩)، مسند الإمام أحمد: ١ ـ ٢٢٣.

(٢) تاريخ بغداد: ٥ ـ ٤٥، سير أعلام النبلاء: ١٥ ـ ٥٢١.

والمواقف التي تمر بالشخص في الحياة اليومية بشكل سريع ومباشر، أما إذا كان القرآن في الرفوف فقط؛ فكيف يمكن لنا أن نطبقه على حياتنا؟.

- **المسألة الثانية: توضيح أثر الحفظ على الفهم والتدبر**

- **إن علاج أي مشكلة له ثلاث صور:**

الأولى: المعالجة الذهنية المجردة الشفهية من غير تحرير ولا ترتيب للحلول.

الثانية: المعالجة المكتوبة المحررة المرتبة.

الثالثة: المعالجة الذهنية لشئ مكتوب مسبقاً، ومحرر بمعنى حفظ ما تم التوصل إليه في علاج المشكلة كتابياً.

والصورة الثالثة هي أقواها، تليها الثانية، ثم الأولى، وحفظ القرآن وتكرار قراءته هو من النوع الثالث، فترديد الآية والتفكر فيها وهي محفوظة أفضل من تكرارها نظراً، لأن مفعول الطريقة الثالثة يستمر، بينما الثانية يقف عند إغلاق المصحف.

- **المسألة الثالثة: لماذا نحفظ القرآن؟**

بناء على ما تقرر ذكره في المفاتيح السابقة فإن الهدف الأول لحفظ القرآن هو: القيام به آناء الليل وآناء النهار، والهدف من القيام به حفظ ما تضمنه من العلم بالله واليوم الآخر، ذلكم العلم الذي يحقق السعادة والحياة الطيبة للإنسان، ويحقق له الثبات في الأزمات، والقوة للأمة في مواجهة أعدائها، هذا هو الهدف الأهم لحفظ القرآن والذي ينبغي أن يركز عليه القائمون على التربية.

إن حفظ الألفاظ وسيلة وليس غاية، وسيلة إلى حفظ المعاني، والانتفاع بها في الحياة، أما الاقتصار على حفظ الألفاظ فهو قصور في حق القرآن العظيم، وهو انحراف عن الصراط المستقيم في رعايته والانتفاع به في الحياة الدنيا والآخرة.

• **المسألة الرابعة : كيف نحفظ القرآن الكريم (الحفظ التربوي)**

بناء على ما تقرر في المسألة السابقة، وما تقرر في المفتاح الخامس؛ أقول: إن حفظ القرآن حفظا تربوياً **يتلخص في الخطوات التالية**[(١)]:

١ـ تكون بداية حفظ القرآن من سورة الناس ثم الفلق بعكس ترتيب القرآن، فهذا الاتجاه يحقق التدرج والسهولة، ويحقق ثبات السير في مشروع حفظ القرآن، ويُسَهِّل التدريب على القيام به[(٢)]، سواء كان الطالب صغيراً أو كبيرا، وهو مُتَّبَعٌ وناجح في مدارس تحفيظ القرآن الكريم بوزارة التربية والتعليم، وهو على التحزيب بالسور سهل ميسور، أما على التحزيب بالأجزاء والأثمان فهو عسير، فالذين يتبعون الأجزاء والأثمان لا يرون أن يكون سير الحفظ من قصار السور لأنه يناقض الأجزاء والأثمان، ولو جربوا التقسيم بالسور لتنفسوا الصعداء وتخلصوا من عبودية تلك الطريقة، ولذاقوا لذة المرونة في الحفظ.

٢ ـ يقسم الحفظ إلى قسمين: الأول: (حفظ الجديد)، الثاني: (القيام بالقرآن).

٣ ـ يخصص النهار وهو من الفجر إلى المغرب لـ (حفظ الجديد).

٤ ـ يخصص الليل وهو من آذان المغرب إلى آذان الفجر لـ (القيام بالقرآن) مع تطبيق بقية مفاتيح التدبر العشرة.

٥ ـ ينقسم (حفظ الجديد) إلى قسمين: الأول: (الحفظ)، الثاني: (التكرار)، أما (الحفظ) فيحدد له موعد بعد الفجر، وموعد بعد العصر، وأما (التكرار) فيكون في صلاةٍ نافلة أو فريضة خلال ساعات النهار.

---

(١) ما ذكرته هنا هو الثمرة العملية والخلاصة لبحث مستقل بعنوان (الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان).

(٢) سيأتي مزيد إيضاح وتفصيل لهذه المسائل في كتاب: (مفاتح تدبر السنة والعمل بها في الحياة) الذي سيصدر قريباً ـ بإذن الله ـ.

٦ ـ تقليل مقدار (الحفظ الجديد) والتركيز أكثر على (التكرار) لما تم حفظه.

٧ ـ يقسم ما يتم حفظه إلى سبعة أقسام عدد أيام الأسبوع، فيقوم كل ليلة بقسم، وهذا هو (القيام بالقرآن) وهو ما يعرف بالمراجعة.

٨ ـ كلما زاد المقدار المحفوظ يتم إعادة توزيع التقسيم الأسبوعي ليتناسب مع الزيادة، مع ملاحظة أن أيام الأسبوع الأولى يكون مقدارها أقل لأنه لم يرسخ بعد.

٩ ـ يكون الحفظ سورة سورة، ويكون حفظ السورة لأول مرة بالتقسيط، فيمكن تقسيم السورة إلى عدد من الآيات حسب موضوعاتها، وبعض الموضوعات الطويلة يمكن أن تقسم إلى مقطعين أو أكثر، ويمكن جمع أكثر من موضوع في مقطع واحد إن كانت قصيرة؛ فبعض الموضوعات تكون في آية واحدة فقط؛ بل بعض الآيات تتضمن عددا من الموضوعات، المهم ألاَّ يكون التقسيم عشوائيا، ولا حسب الأوجه، ولا حسب الأثمان[1].

١٠ـ لا يصلح ولا يسوغ أبداً تجاوز أي سورة حتى يحفظها جملة، مهما كانت طويلة، ويكررها ـ بعد حفظها جملةً ـ عدداً من المرات، وفي أكثر من يوم.

١١ـ من المفيد جداً تسميع ما ستقوم به الليلة على شخص آخر، والأولى أن يكون من الأسرة ليحصل التواصي به، والتعاون عليه.

١٢ـ إذا تبين ضعف حفظ بعض السور أثناء (القيام بالقرآن) ليلاً فتتم مراجعته وضبطه في نهار اليوم التالي له، ولا يصح أن يبدأ بحفظ جديد والحالة هذه، وغالباً ما يكون هذا في أيام الأسبوع الأولى التي تتضمن ما تم حفظه أخيراً.

---

(١) إن أي تقسيم لا يراعي الموضوع يعني التركيز على الألفاظ ونسيان المعاني وقد جربت هذه الطرق مراراً، وثبت لدي ما نصحت به، ويمكن لأي مشتغل بحفظ القرآن أن يجرب بنفسه ثم يحكم.

١٣ـ من المهم جدا تطبيق المفاتيح العشرة بما في ذلك مفتاح الترتيل، ومفتاح الجهر، ولا يحسن السرعة والعجلة حين قراءة القرآن ـ حتى في حفظ الجديد ـ بحجة ضبط الحفظ، فالسرعة تعني نسيان أهداف قراءة القرآن، وهو المفتاح الثاني من المفاتيح العشرة، وعند وجود هذه الحالة يعاد التذكير به من خلال قراءته في هذا الكتاب .

١٤ـ هذه الطريقة تعطي الحافظ الطمأنينة والسكينة إذا اقتنع بها وتربى عليها فلا عجلة ولا خوف نسيان، بل وضوح تام لمقصود الحفظ، واستثمار له من البداية.

١٥ـ هذه الطريقة تقوم على مبدأ: (الحفظ التربوي)، أما طريقة: (احفظ وانس) فهي كما قال الأعمش رحمه الله: «مثل من يقدم له الطعام ثم يأخذ باللقمة تلو اللقمة ويرميها وراء ظهره ولا يدخلها إلى جوفه»[1] .

١٦ـ فيها توفير للوقت والجهد، إذ أنك تحفظ السورة مرة واحدة في العمر، ثم تستثمر حفظها وتنتفع به، أما تعاقب الحفظ والنسيان فهذا يستهلك الوقت والجهد، ويحرم من التنعم بالقرآن في الحياة، بل يوجد النزاع والخصام بين حفظ الجديد والمراجعة لما تم حفظه، وأيضاً يوجد القلق والحرج عند من حفظ شيئا من القرآن ثم نسيه، **وربما كان سبباً في اليأس من الحفظ وتركه.**

١٧ـ يمكن تربية الأسرة على (الحفظ التربوي) بوضع جدول أسبوعي لكل منهم وتسميعه لهم في النهار، وتذكيرهم به، وحثهم على القيام به في الليل، ومكافأتهم عليه، حتى يتدربوا ، ويشبوا عليه، ويكون مصاحباً لهم لا ينفكون عنه، ولا يطيقون فراقه، ويكون مصباحاً يضيئ لهم طريق الحياة.

---

(١) انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي.

١٨ـ من يقرأ ما يحفظه ـ ولو كان سورة واحدة ـ كل أسبوع خيرٌ ممن يقرأ مائة سورة كل شهر، الأول يقرأ السورة كل سبعة أيام، والثاني يقرأ السورة كل ثلاثين يوماً[١] فأيهما سيكون حفظه للمعاني أثبت، وأقوى، وأقرب للذكر والعمل، لا عبرة للكثرة مقابل القوة؛ فقليل قوى خير من كثير ضعيف، وهذا يذكرني بما جاء في سنن أبي داود[٢] من حديث ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها،** فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ **قال بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ الله في قلوبكم الوهن،** فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ **قال: حب الدنيا وكراهية الموت**»، وعليه فليس الهدف حفظ ألفاظ كثيرة من القرآن، بل الهدف: **تكرار محفوظ من القرآن كل سبعة أيام في صلاة بنية التدبر ليتم الشفاء من الوهن،** أيّاً كان هذا المحفوظ حتى لو سورة واحدة، فهو خير ألف مرة من حفظ كثير لا يتصف بما ذكر، فإن وجد حفظٌ كثير أو القرآن كاملاً بحسب ما ذكر فهو أولى وأقوى من القليل، فالمهم القاعدة السابقة، ومتى رأيت أن الوقت يضيق فعليك بتقليل المقدار مع بقاء التكرار.

***

(١) فالنسبة بينهما تعادل ١/ ٤ أي قوة ما يقرا كل أسبوع تعادل أربعة أضعاف ما يقرأ كل شهر ، ومن كان في شك فليجرب، ويلاحظ هنا أن القياس من جهة الزمن فقط مع افتراض تساوي المعايير الأخرى.

(٢) ج٤/ ص١١١ .

المفتاح السابع: تكرار الآيات

• إن الهدف من التكرار هو التوقف لاستحضار المعاني، وكلما كثر التكرار كلما زادت المعاني التي تفهم من النص، والتكرار - أيضاً - قد يحصل لا إرادياً تعظيماً أو إعجاباً بما قرأ، وهذا مشاهد في واقع الناس حينما يعجب أحدهم بجملة أو قصة فإنه يكثر من تكرارها على نفسه أو غيره، التكرار: نتيجة وثمرة للفهم والتدبر، وهو أيضا وسيلة إليه حينما لا يوجد، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا تهذوه هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة»[(١)]، وقال أبو ذر رضي الله عنه: «قام النبي بآية حتى أصبح يرددها ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨][(٢)]، وعن عبّاد بن حمزة رحمه الله قال: «دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، قال: فوقفت عليها فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عباد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو»[(٣)]، وعن القاسم بن أبي أيوب رحمه الله أن سعيد بن جبير رحمه الله ردَّدَ هذه الآية: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، بضعاً وعشرين مرة[(٤)]، وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله: «لأن أقرأ ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ و ﴿القارعة﴾ أرددهما وأتفكر فيهما أحب

(١) تفسير البغوي ٤ ـ ٤٠٧ شعب الإيمان للبيهقي ،١ ـ ٣٤٤ أخلاق حملة القرآن ١٩ .

(٢) سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٩(١٣٨٩)، قال في مصباح الزجاجة إسناده صحيح، سنن النسائي (المجتبى) ١ـ١٧٧ ، مستدرك الحاكم ١ـ٢٤١ وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سنن النسائي، وحسنه الأرناؤط في مختصر منهاج القاصدين

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص ٢٥ (٦٠٣٧) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج٧/ ص ٢٠٣ .

من أن أبيت أَهُذُّ القرآن»[١]، وردَّدَ ـ الحسن البصري رحمه الله ـ ليلة ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]،حتى أصبح، فقيل له في ذلك، فقال: إن فيها معتبراً ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة، وما لا نعلمه من نعم الله أكثر»[٢]، وقام تميم الداري رضي الله عنه بآية حتى أصبح ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١][٣]، قال ابن القيم رحمه الله: «هذه عادة السلف يردد أحدهم الآية إلى الصبح»[٤]، قال النووي رحمه الله: «وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم الآية الواحدة ليلة كاملة أو معظمها يتدبرها عند القراءة »[٥]، وقال ابن قدامة رحمه الله: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه ويتدبر كلامه فإن التدبر هو المقصود من القراءة وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية فليرددها»[٦].

* * *

(١) الزهد لابن المبارك ٩٧.
(٢) مختصر قيام الليل للمروزي ١٥١.
(٣) مختصر منهاج القاصدين ٦٨.
(٤) مفتاح دار السعادة ١ـ ٢٢٢.
(٥) الأذكار ٥٠.
(٦) مختصر منهاج القاصدين ٦٨.

المفتاح الثامن: ربط الألفاظ بالمعاني

• المسألة الأولى: مفهوم هذا المفتاح

هو: ربط اللفظ بالمعنى؛ أي: حفظ المعاني، وهو أيضاً: ربط الآية بالواقع؛ أي: تنزيل الآية على المواقف والأحوال اليومية التي تمر بالشخص، هو التمثل بالقرآن في كل حدث يحصل في اليوم والليلة، بحيث يبقى القرآن حيًّا في القلب تؤخذ منه الإجابات والتفسيرات للحياة، وتؤخذ منه التوجيهات والأنظمة في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الربط يعرف عند علماء النفس بالاقتران الشرطي، ويعرف بالوقت الحاضر عند علماء البرمجة بالإرساء، وهو ما يعرف في القرآن والسنة بالذكر أو التذكر، وهو يعني تداعي المعاني، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

• المسألة الثانية: أنواعه

الربط أو التداعي نوعان: عفوي وقصدي، فالعفوي إلهامات وفتوحات يفتحها الله تعالى على من يشاء من عباده، وقصدي: وهو أن تقوم بالربط بين اللفظ والمعاني التي تضمنها ثم التكرار حتى ترسخ وتثبت، والتكرار الذي يحقق الربط نوعان، **الأول:** التكرار الآني، **والثاني:** التكرار الأسبوعي، أما التكرار الآني فسبق بيانه في المفتاح السابع، وأما التكرار الأسبوعي فسبق بيانه في المفتاح الخامس.

• المسألة الثالثة: كيفية الربط

أن تكرر اللفظ مع استحضار معنى جديد في كل مرة، حتى تمر على

كل المعاني التي يمكن أن تتذكرها من النص أو اللفظ، وقد سبق ذكر كلام الحسن البصري رحمه الله حين قام الليل كله يكرر قول الله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ فلما قيل له؟ قال: إن فيها معتبراً ما نرفع طرفاً ولا نرده إلا وقع على نعمة.

- **المسألة الرابعة: حسابات الألفاظ والكلمات**

الألفاظ قوالب المعاني وحساباتها البنكية، فكلمة عند شخص لها خمسة معاني، وعند آخر سبعة معاني، وعند ثالث: صفر خالية لا تعني له شيئاً.

إن إدراك ووعي الناس لآيات القرآن يتفاوت تفاوتاً كبيراً مع أن الآية هي الآية يقرؤها هذا ويقرؤها هذا وإن ما بينهما في عمق فهم الآية أو الجملة كما بين المشرقين، تجد مثلاً اثنين يسمعان الكلمة نفسها الأول يبكي والثاني يضحك! لماذا؟ مثلاً: كلمة النار يسمعها الرجل الصالح المؤمن فيبكي ويقشعر جلده خوفا من عذاب الله، ويسمعها الغافل فيضحك لأن هذه الكلمة تذكره بالشواء والمرح واللهو لا يفهم منها إلا هذا؟



المفتاح التاسع: الترتيـــل

● الترتيل يعني الترسل والتمهل، ومن ذلك مراعاة المقاطع والمبادئ وتمام المعنى، بحيث يكون القارئ متفكراً فيما يقرأ، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]، قال ابن كثير: «أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبّره»[١]، وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها»[٢]، وعن أنس رضي الله عنه أنه سئل عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: «كانت مدّاً، ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم»[٣]، وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: «كان يُقَطّع قراءته آية.. آية.. ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾»[٤].

قال الحسن البصري رحمه الله: «يا ابن آدم كيف يرق قلبك وإنما همتك آخر السورة»[٥] وقد أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على نهيك بن سنان رحمه الله سرعته في القراءة حين قال: قرأت المفصل البارحة فقال عبدالله رضي الله عنه «هذّاً كهذِّ الشعر! إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القُرَناء التي يقرأ بهن النبي ﷺ»[٦]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه لعلقمة رحمه الله ـ وقد عَجِل في القراءة ـ: «فداك أبي وأمي رتل فإنه زَيْنُ القرآن»[٧]، قال ابن مفلح رحمه الله: «أقل الترتيل ترك العجلة في القرآن عن

(١) تفسير ابن كثير: ١٤٥٣. (٢) صحيح مسلم: ٤/ ٥٠٧. (٣) فتح الباري: ٨/ ٧٠٩.
(٤) مسند أحمد: ٦/ ٣٠٢، سنن أبي داود: ٤/ ٣٩٤، تحفة الأحوذي: ٨/ ٢٤١.
(٥) مختصر قيام الليل المروزي: ١٥٠.
(٦) صحيح البخاري ج١/ ص٢٦٩(٧٤٢)، ج٤/ ص١٩٢٤(٤٧٥٦)، صحيح مسلم ج١/ ص٥٦٤ (٨٢٢)، ج١/ ص ٥٦٥ (٨٢٢)، صحيح ابن حبان ج٥/ ص١١٨(١٨١٢)، سنن النسائي الكبرى ج١/ ص ٣٤٤ (١٠٧٧)، سنن البيهقي الكبرى ج٢/ ص٦٠(٢٢٩١)، مسند أحمد بن حنبل ج١/ ص٤١٧ (٣٩٥٨).
(٧)سنن البيهقي الكبرى ج٢/ ص٥٤ (٢٢٥٩)، سنن سعيد بن منصور (٢)ج١/ ص٢٢٥(٥٤)، مصنف ابن أبي شيبة ج٢/ ص٢٥٥(٨٧٢٤)، ج٦/ ص١٤٠(٣٠١٥٢).

الإبانة وأكمله أن يرتل القراءة ويتوقف فيها»[١]، وصفة قراءة القرآن التي نقلت إلينا عن النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم تدل على أهمية الترسل وتزيين الصوت بالقراءة، فمن ينظر إلى أي كتاب في التجويد يدرك هذه الحقيقة بجلاء ووضوح، ولم ينقل ذلك إلا للقرآن، فالأحاديث والخطب والمواعظ لم ينقل فيها شئ من ذلك، وإنه لفرق كبير في التمهل والتأني بين من يطبق أحكام التجويد ومن لا يطبقها بل يهذ القراءة هذّاً.

عن حذيفة رضي الله عنه قال: «صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة فقرأها، ثم النساء فقرأها، ثم آل عمران فقرأها، يقرأ **مترسلاً**، إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ»[٢].

وإذا تعارض مقدار القراءة مع صفتها قدمت الصفة:

سئل زيد بن ثابت رضي الله عنه كيف ترى في قراءة القرآن في سبع؟ قال: حسن، ولأن أقرأه في نصف شهر أو عشر أحب إليَّ، وسلني لم ذلك؟ قال: فإني أسألك، قال: لكي أتدبره وأقف عليه».. اهـ[٣]، قال ابن حجر رحمه الله: «إن من رتل وتأمل كمن تصدق بجوهرة واحدة ثمينة، ومن أسرع كمن تصدق بعدة جواهر لكن قيمتها قيمة الواحدة، وقد تكون قيمة الواحدة أكثر من قيمة الأخريات وقد يكون العكس».. اهـ[٤]، والصحيح: أن من أسرع فقد اقتصر على مقصد واحد من مقاصد قراءة القرآن وهو: ثواب القراءة، ومن رتل وتأمل فقد حقق المقاصد كلها وكمل انتفاعه بالقرآن، واتبع هدي النبي ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

---

(١) الآداب الشرعية ٢٢/ ٢٩٧.
(٢) صحيح مسلم ج١/ ص٥٣٦ (٧٧٢)، سنن النسائي (المجتبى) ج٣/ ص٢٢٥ (١٦٦٤).
(٣) الموطأ ١ـ٢٠١.
(٤) فتح الباري ٣ـ٨٩ وذكر نحوه السيوطي في الإتقان.

المفتاح العاشر: الجهـر بالقـراءة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**ليس منا من لم يتغن بالقرآن يجهر به**»[(١)]، وعنه أيضاً رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي حسن الصوت يجهر بالقرآن**»[(٢)]، وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل؛ وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[(٣)]، وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: «كنت أسمع قراءة النبي ﷺ وأنا على عريشي»[(٤)]، وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج ليلة فإذا بأبي بكر رضي الله عنه يصلي يخفض صوته، ومَرَّ على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وهو يصلي رافعاً صوته، قال: فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال: «**يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك؟** قال: قد أسمعت من ناجَيْتُ يارسول الله، وقال لعمر: **مررت بك وأنت تصلي ترفع صوتك؟** فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، فقال النبي ﷺ: **يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئا، وقال لعمر: اخفض من صوتك شيئاً**»[(٥)] وسئل ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ

---

(١) صحيح البخاري ج٦/ ص٢٧٣٧(٧٠٨٩)، المستدرك على الصحيحين ج١/ ص٧٥٨(٢٠٩١)، صحيح ابن حبان ج١/ ص٣٢٦ (١٢٠)، سنن البيهقي الصغرى ج١/ ص٥٥٨ (١٠٢٤)، سنن أبي داود ج٢/ ص٧٤ (١٤٦٩)، سنن البيهقي الكبرى ج٢/ ص٥٤(٢٢٥٧) .

(٢) صحيح البخاري ج٦/ ص٢٧٤٣ (٧١٠٥)، صحيح مسلم ج١/ ص٥٤٥ (٧٩٢)، سنن أبي داود ج٢/ ص٧٥ (١٤٧٣)، سنن النسائي (المجتبى) ج٢/ ص١٨٠ (١٠١٧).

(٣) صحيح البخاري ج٤/ ص١٥٤٧(٣٩٩١)، صحيح مسلم ج٤/ ص١٩٤٤(٢٤٩٩)، مسند أبي عوانة ج٢/ ص ٤٥٩ (٣٨٢٩)، مسند أبي يعلى ج١٣/ ص٣٠٥(٧٣١٨).

(٤) سنن النسائي (المجتبى) ج٢/ ص١٧٨(١٠١٣)، سنن ابن ماجه ج١/ ص٤٢٩(١٣٤٩)، مصنف ابن أبي شيبة ج/ ١ ص٣٢١ (٣٦٧٢)، مسند أحمد بن حنبل ج٦/ ص٣٤١(٢٦٩٣٩)، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي.

(٥) سنن أبي داود ج٢/ ص٣٧(١٣٢٩)، سنن الترمذي ج٢/ ص٣٠٩ (٤٤٧)، صحيح ابن خزيمة ج/ ٢ص١٨٩ (١١٦١)، مصنف عبد الرزاق ج٢/ ص٤٩٦ (٤٢١٠)، مسند أحمد بن حنبل ج/ ١ ص١٠٩ (٨٦٥)، صحيح ابن خزيمة ج٢/ ص١٨٩ (١١٦١)، صحيح ابن حبان ج٣/ ص٦(٧٣٣)، وصححه النووي في المجموع ٣٩١، والحاكم ووافقه الذهبي والألباني في صفة صلاة النبي ص ١٠٩ .

عن جهر النبي ﷺ بالقراءة بالليل فقال: «كان يقرأ في حجرته قراءة لو أراد حافظ أن يحفظها فعل»[(١)]، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لرجل ذكر له أنه سريع القراءة ـ : «إن كنت فاعلاً فاقرأ قراءة تسمعها أذنك، ويعيها قلبك».. اهـ[(٢)]، وعن ابن أبي ليلى رَحِمَهُ الله قال: «إذا قرأت فاسمع أذنيك فإن القلب عدل بين اللسان والأذن»[(٣)].

إن الجهر بما يدور في القلب أعون على التركيز والانتباه ولذلك تجد الإنسان يلجأ إليه قسراً عندما تتعقد الأمور ويصعب التفكير.

البعض عند قراءته للقرآن يسر بقراءته طلباً للسرعة وقراءة أكبر قدر ممكن وهذا خطأ ومن الواضح غياب قصد التدبر في مثل هذه الحالة.

إن الجهر درجات أدناها أن يسمع المرء أذنه وتحريك أدوات النطق من لسان وشفتين، وأعلاها أن يسمع من قرب منه، فما دونه ليس بجهر وما فوقه يعيق التدبر ويرهق القارئ ويؤذي السامع.

ومن فوائد الجهر استماع الملائكة الموكلة بسماع الذكر لقراءة القارئ، وهرب وفرار الشياطين عن القارئ والمكان الذي يقرأ فيه، وفي ذلك تطهير للبيت وتعطير له وجعله بيئة صالحة للتربية والتعليم.

إن بيتاً يكثر فيه الجهر بالقرآن هو بيت ـ كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين والبيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله ضاق بأهله وقل خيره وحضرته الشياطين وخرجت منه الملائكة»[(٤)].

(١) مختصر قيام الليل للمروزي: ١٣٣.
(٢) سنن البيهقي الكبرى ج٢/ ص١٦٨(٢٧٥٩)، فتح الباري: ٩ـ٨٩.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج١/ ص٣٢١ (٣٦٧٠).
(٤) الزهد لابن المبارك ج١/ ص٢٧٣ (٧٩٠).



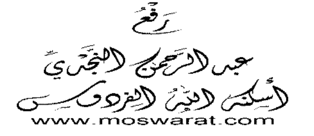
خاتمة البحث

• أخي المسلم بفعلك لما سبق ذكره من مفاتح التدبر تكون كمن استعمل منظاراً لتقريب وتكبير الصور، وهذا ما يحصل تماماً لقارئ القرآن بهذه الكيفية فإنه تكبر في نظره المعاني، وتزداد عمقاً، ويغزر فهمه لمضامينها حتى إنه لينتبه إلى معان لم يكن يدركها من قبل، وألفاظ كان يمر بها دون أن يشعر، حتى إنه ليقول: سبحان الله! لقد كنت أقرأ هذه السورة، أو الآية منذ سنوات؛ لكن لم أفهمها كما فهمتها اليوم؟

إن البعض منا يريد أن يتدبر القرآن، ويتأثر به، وهو لم يهيئ الأسباب والوسائل المساعدة على فهمه وفقهه، حتى أدنى درجات التركيز والهدوء لا يوجدها حين قراءته للقرآن، لماذا؟ لأنه قصر همته على نطق الألفاظ، وما يحصل من حسنات مقابل ذلك.

إن من يواظب على قراءة القرآن كما تم بيانه ووصفه من حال السلف فإن هذا سيؤدي إلى حياة قلبه، وقوة ذاكرته، وصحة نفسه، وعلو همته، وقوة إرادته، وهذه هي مرتكزات النجاح الحقيقية، ذلكم النجاح الشامل المتكامل الثابت في حال الشدة كما هو حاصل في حال الرخاء.

إن من يطبق هذه المفاتيح العشرة فسيرى بأم قلبه نور القرآن، ويصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين مدحهم بقوله سبحانه: **﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾** [مريم: ٥٨]، نسأل الله الكريم بمنه وفضله أن يجعلنا منهم، والله الموفق والهادي إلى الصراط المستقيم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..



ملحق (١) : رحلتي مع الكتاب

•بدأت رحلتي مع هذا الكتاب منذ أن عقلت وأدركت أن الحياة مجاهدة، ومصابرة، وصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، وأن الثبات على الحق وتحصيل الخير لا بد له من جهد، ومن عمل.

كانت البداية مع كتاب الجواب الكافي أقرؤه كلما أحسست بضعف السيطرة على النفس، وضعف الإرادة والوقوع في النقائص، فكنت أجد فيه العلاج وانتفع به حينا من الدهر، ثم انتقلت إلى كتب المثقفين والمفكرين المعاصرين أمثال: قوارب النجاة، وحديث الشيخ، وتربيتنا الروحية ، وجدد حياتك، وغيرها من كتب جعلتها قريبة مني أقرؤها لآخذ منها الزاد الروحي - على حد تعبير أولئك الكتّاب.

ثم جاءت فترة تعلقت بكتاب إحياء علوم الدين للغزالي ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامه.

وفي المرحلة الجامعية كان التوجه نحو كتب الغرب والتي بدأت تغزو الأسواق، من ذلك: كيف تكسب الأصدقاء، دع القلق وابدأ الحياة، سيطر على نفسك، سلطان الإرادة وغيرها، فكنت أرجع إليها كلما حصلت مشكلة أو احتجت لعلاج مسألة، وكنت قرأتها أكثر من مرة ولخصت ما فيها على شكل قواعد وأصول، وفي حينها كان يتردد على خاطري سؤال محير: كيف يكون العلاج والتغيير في مثل هذه الكتب ولا يكون في القرآن؟

ثم تلتها مرحلة أخرى تعلقت بكتاب مدارج السالكين وخاصة بعدما طبع تهذيبه في مجلد واحد فكان رفيقي في السفر والحضر أقرأ فيه بهدف تقوية العزيمة ومجاهدة النفس.

ثم جاءت مرحلة لم يمض عليها سوى سنوات اتجهت إلى كتب وأشرطة القوة وتطوير الذات والتي بدأت تتنافس في جذب الناس، فاشتغلت في الكثير منها طلبا للتطوير والترقية، من ذلك: كتاب العادات السبع، أيقظ قواك الخفية، إدارة الأولويات، القراءة السريعة، كيف تضاعف ذكائك، المفاتيح العشرة للنجاح، البرمجة اللغوية العصبية، كيف تقوي ذاكرتك..كن مطمئنا، السعادة في ثلاثة شهور، كيف تصبح متفائلا، أيقظ العملاق.... الخ من قائمة لا تنتهي، كنت أقرؤها، أو أسمعها بكل دقة وأناة باحثا فيها عما عساه يغير من الواقع شيئا، ويحصل به الانطلاق والتخلص من نقاط الضعف، ولكن دون جدوى، وأحمد الله تعالى أنها كانت دون جدوى، وأني نجوت من الفتنة بهذه المصادر البشرية للنجاح، فكيف سيكون حالي لو كنت حصلت على النجاح من تلك الكتب ونسيت كتاب ربي إلى أن فارقت الحياة؟

إن السؤال المحير، والذي يدعو للعجب والاستغراب: هل كان مثل هذا التخبط حصل من شخص يعيش في مجاهل أفريقيا؟ أو أدغال آسيا ولم يبلغه القرآن؟ أو أنه حصل من شخص يحفظ القرآن وهو في المرحلة المتوسطة **ومع هذا لم ينتفع به لأنه نسي هذه المفاتيح.**

هذا هو السؤال المحير الذي كنت أبحث عن إجابته؟ فوجدتها والحمد لله وضمنتها هذا الكتاب، فإياك ـ أخي المسلم ـ أن ترحل من هذه الدنيا ولم تذق ألذ وأطيب ما فيها إنه القرآن كلام الله، الذي لا يشبه التنعم به أي نعيم على الإطلاق، وهو حاصل بإذن الله تعالى لمن أخذ بهذه المفاتيح التي هدي إليها سلفنا الصالح، ففتحت لهم كنوز القرآن، وبها فتحت لهم كنوز الأرض وخيراتها فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

ملحق (٢): أفضل هدية يقدمها والد إلى ولده

• إن أعظم هدية يقدمها والد إلى ولده، وأعظم إحسان يسديه إليه؛ أن يربيه على مفاتح تدبر القرآن - التي ذكرتها عن السلف - منذ الصغر حتى يتسلح بالقرآن في هذا العصر الذي كثرت فيه الفتن، وانتشر فيه القلق والملل، وزادت الأمراض النفسية، وضعفت النفوس عن تحمل المصائب، وصار الناس يبحثون عن التسلية والترويح عن النفس بوسائل شتى، حتى أرهقتهم بدنيا وماليا ووصلوا معها إلى طريق مسدود وصدق عليهم قول الشاعر:

وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

إن من ينشأ على القيام بالقرآن، يقرؤه كما وصفت، فإنه ينشأ قوي النفس، قوي البدن، ثابت الخطى، يشق طريقه في الحياة بلا مخاوف، ولا مشاكل بإذن الله تعالى ،لأنه يجد التفسير الواضح الثابت لكل المواقف التي يمر بها، ولكل المناهج والأطروحات التي تتنافس في إثبات وجودها، ومازلت أسمع وأرى صوراً ومآسي لانحرافات فكرية وخلقية تحصل من أبناء المسلمين، وماذاك إلا بسبب التفريط في الربط بالقرآن حبل الله المتين، الذي ما ضل من تمسك به، والتمسك به لا يكون أبداً إلا بما سبق بيانه من وسائل ومفاتيح.

إن هذا أسهل وأخصر الطرق في تربية الأولاد لمن وفق إليه وقدر عليه، أما من حرمه فإنه سيظل حبيس تجارب وطرق وأفكار لا أول لها ولا آخر، تجارب ووسائل متباينة ومكلفة وصعبة التطبيق، وضعيفة النتائج، وهشة البناء لا تصمد للمواقف الصعبة واللحظات الحرجة.

تذكر أنك حين تربي ابنك منذ الصغر على القرآن بالطريقة التي وصفتها فإنك تثبت في قلبه رقيبا يصحبه أينما ذهب وفي كل وقت وحينها لا تحتاج أبدا إلى مراقبته ومتابعته لأن رقيبه مثبت في صدره وبقوة؛ فتنام بذلك قرير العين وتجني ثمرة ما زرعته في قلبه في سنوات حياته الأولى.

ملحق (٣) : القــرآن والصيـــام

عن عبدالله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان**»[1].

إن بين القرآن والصيام علاقة متينة، فمن أعظم وأهم الحكم من مشروعية صيام نهار رمضان تهيئة القلب لتدبر القرآن حين القيام به في الليل، والمشاهد أن كثيرا من الناس يُفوِّتون على أنفسهم هذه المصلحة العظيمة حينما يسرفون في الطعام والشراب وقت الإفطار والعشاء.

لقد أثبت الطب الحديث، والطب البديل أهمية الصيام لصفاء القلب وقيامه بوظائفه المادية والمعنوية ، ولا أريد التفصيل في هذه القضية فالمقام لا يسمح لكني أرشد إلى بعض المراجع[2] وإن كنت على يقين من حكمة تشريع الصيام بدون عناء الرجوع إلى تلك الكتب وصرف الوقت والجهد في قراءتها يكفينا في هذا قول الله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] إنها رسالة من رب العالمين تحمل الكثير والكثير من الإشارات والإرشادات، إن الله تعالى يقرر لنا هذه القاعدة العظيمة: أن الصيام خير لنا، وإن من بعض خيره ما تم إثباته بالتجارب المخبرية ومن تجارب العلماء الذين يؤكدون على أهمية هذه العلاقة بين الصيام وبين التفكير والفهم والتدبر، إن شواهد صحتها وأقوال أهل التجربة وأحوالهم من علماء المسلمين وغير المسلمين لا يتسع له

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ص١٧٤ (٦٦٢٦) ، وصححه أحمد شاكر ، مستدرك الحاكم : ١-٧٠٤ وقال صحيح على شرط مسلم ، مصنف ابن أبي شيبة ج٦/ ص١٢٩ (٣٠٠٤٤)، صحيح الترغيب والترهيب للألباني : ١-٤٨٣ (٩٦٩).

(٢) من ذلك: كتاب ريجيم الصوم نشر: دار طويق، الصوم والصحة، نجيب الكيلاني، صوموا تصحوا. دراسة علمية لفوائد الصوم: الشيخ سعيد الأحمري. دار المعارف، عالج نفسك بالصيام: محيي الدين عبدالحميد.

كتاب وما لم ينقل عنهم من أقوال وأحوال أكثر وأكثر، فالقليل منهم عَبَّر عن حاله، وذكر ما وجد، وغيرهم كثير وجد ولم يذكر.

فإن أردت حقاً تدبر القرآن، والتأثر به، فعليك بهذا المفتاح العجيب، وخاصة في رمضان إنه الصيام، الصيام الصحيح الذي يحرص فيه الصائم على تطبيق ما جاء في حديث المِقْدَام بن مَعْدِي كربَ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقُولُ: «**ما ملأَ ابْنُ آدَمَ وِعاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيماتٌ يقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كان لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».. [رواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح].

وهذا الحديث أصل جامع لأصول الطب كلها، وقد روى أن ابن أبي ماسويه الطبيب ـ لما قرأ هذا الحديث في كتاب أبي خيثمة رحمه الله ـ قال: «لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيادلة».

ليس معنى الصوم أن تمسك عن الطعام والشراب مدة ثم تلتهم أضعاف ما أمسكت عنه؛ هذا بكل تأكيد ليس صوماً نافعاً، إن الصوم الذي ينفع صاحبه هو ما يقترن معه عدم الشبع حال الإفطار، إن بعض الشباب يقول: قد صمت فما وجدت الوجاء الذي أخبر به النبي ﷺ، نقول: نعم إن كنت في وقت فطرك تتقاضى من وقت صومك وترد الصاع صاعين فهذا ليس بصوم على الحقيقة بل هو إرهاق للبدن وتعذيب له، لأن الهدف من الصوم حماية الجسد عامة والقلب خاصة من سموم الأطعمة والأشربة، وهذا معنى قول النبي ﷺ «**فإنه له وجاء**»؛ ذلك أن القلب إذا استراح من سموم الأطعمه صفا ورق.

قال المروزي رحمه الله: قلت لأبي عبدالله ـ يعني الإمام أحمد رحمه الله ـ: «يجد الرجل

من قلبه رقة وهو شبع قال: ما أرى» ، وعن نافع رحمه الله عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: «ماشبعت منذ أسلمت»، وعن محمد بن واسع رحمه الله قال: «**من قل طُعْمُه فهم وأفهم وصفا ورق**، وإن كثرة الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد»، وعن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال: «إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل»، وعن قثم العابد رحمه الله قال: «كان يقال: **ما قل طعم امريء قط إلا رق قلبه ونديت عيناه**»، وعن أبي عمران الجوني رحمه الله قال: «كان يقال من أحب أن ينور قلبه فليقل طعمه»، وعن عثمان بن زائدة رحمه الله قال: «كتب إليَّ سفيان الثوري رحمه الله: إن أردت أن يَصِحَّ جسمك ويَقِلَّ نومك فأقلل من الأكل»، وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: «من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة»، وقال الحسن بن يحيى الخشني رحمه الله: من أراد أن يغزر دموعه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه، وقال أحمد بن أبي الحواري رحمه الله: فحدثت بهذا أبا سليمان فقال: إنما جاء الحديث «ثلث طعام وثلث شراب»، وأرى هؤلاء قد حاسبوا أنفسهم فربحوا سدساً، وعن الشافعي رحمه الله قال: ما شبعت منذ ستة عشر سنة إلا شبعة أطرحها، لأن الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة ، وقالت عائشة رضي الله عنها: «أول بدعة حدثت بعد رسول الله: الشبع»، إن القوم لما شبعت بطونهم جمحت بها نفوسهم إلى الدنيا.

* * *

رسالة إلى كل معلم ومعلمة في العالم

أخي المُعلِّم أختي المُعلِّمة: يا من يَسَّرَ الله لك قلوب الناشئة، تسمع لك وتطيع، وتُقدِّس كلامك، وترى فيك القدوة الحسنة، والمثل الذي يحتذى، إليك أوجه هذه الرسالة: وهي أن تسعى جاهداً في توصيل ما تضمنه هذا الكتاب من أمور علمية وعملية بأسلوبك وطريقتك الخاصة، بحيث يترسَّخ لدى الناشئة علماً وعملاً أن نجاحهم وسعادتهم وقوتهم بهذا القرآن العظيم، وَجِّههم إلى كيفية القيام بالقرآن، وعلِّمهم أنه الطريق لتثبيت معانيه العظيمه في القلوب، علِّمهم كيف يدعون الله تعالى أن يرزقهم حب القرآن، وأن يفتح لهم كنوزه، وأن يضيئ لهم أنواره، وضِّحْ لهم بتفصيل واستمرار أن الحياة بدون القرآن العظيم شقاء وضلال وضياع، وأن الله تعالى أنزل هذا القرآن العظيم رحمة وهدى للعالمين.

احتوى الكتاب على عدد من الآيات، والأحاديث، وأقوال السلف، مما يبين كيفية التعامل مع القرآن العظيم، والانتفاع به، فَسِّرْها واشرحها لهم، واجعلهم يحفظون منها ما يستطيعون ليكون حافزاً لهم للعمل بها.

تفقدهم بين الحين والآخر، وراقب تفاعلهم مع ما تعلمهم إياه في هذا الأمر المهم في حياتهم، إنهم بذلك يكونون حسنة من حسناتك، وغرساً من غراسك، تسعد وتسر حين تراهم سعداء، تراهم نافعين مؤثرين في أمتهم.

أرجو منك الاحتساب في توصيل مادة الكتاب، لمن تحت يدك من فلذات أكبادنا، الذين يؤلمنا واقعهم المأسوي، وما يعانيه الكثير منهم من قلق، وضياع فكري وخلقي، في زمن كثر فيه قطاع الطريق وتنوعت أطماع الطامعين

ووسائلهم، وتخبط الكثيرون في البحث عن القوة والتطوير وتحقيق النجاح في الحياة، وهو في أيديهم، في هذا القرآن العظيم.

إن الكتاب يرسم الطريق المختصر والآمن والقوي للتربية والإصلاح، ولكن الأمر يحتاج إلى توضيح وبيان لمن لم يستطع ذلك.

أسأل الله الكريم بمنه وفضله أن يجعلك مفتاحاً من مفاتيح القوة والنجاح للأمة، وأن يحقق على يديك النصر للإسلام والمسلمين.



المحتويـــــات


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



في هذا الكتاب

١ الشفاء بالقرآن؟
٢ كيف أحب القرآن؟
٣ لماذا تقرأ القرآن؟
٤ كيف تحفظ القرآن ؟
٥ قواعد إصلاح النفس.
٦ ما الطريق إلى ولاية الله؟
٧ ما هو ماء الحياة للقلب؟
٨ ما أسرار الجهر بالقرآن؟
٩ علاقة حفظ القرآن بالتدبر؟
١٠ ما الطريق إلى رؤية نور القرآن؟
١١ الترتيل وأثره في تدبر القرآن.
١٢ أفضل هدية تقدمها إلى ولدك.
١٣ حلاوة المناجاة. كيف أجدها؟
١٤ كيف أربي أبنائي على القرآن؟
١٥ ما الطريق إلى الحياة الطيبة؟
١٦ ما سر العلاقة بين الصوم والقرآن؟
١٧ التكرار وسيلة فعالة لتحقيق التدبر.
١٨ الحفظ التربوي للقرآن وصناعة الإنسان.
١٩ كتاب من ينجح فيه يحصل على عشرة مليارات.

للحصول على الكتاب اتصل ٠٥٠٥٢١٧٥٧٠
ومن خارج السعودية ٠٠٩٦٦٥٠٥٢١٧٥٧٠ وللنساء ٠٥٠٦٢٨٧٧١٠

ردمك: ٥ - ٢١ - ٠٢١ - ٤٦ - ٩٩٦٠

مطبعة سفير تليفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ الرياض